الجمـهورية الجزائـرية الديمـقراطـية الشـعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحي– جيجل –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب عربي

عنوان المذكرة:

الأزمة في رواية حطب سراييفو للسعيد خطيبي

مذكرة مكملة لمتطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبين:

– لبعيلي صونية

– طباخ هشام

إشراف الأستاذة:

– د. سناني وسيلة

أعضاء لجنة المناقشة:

د/ محمد الصالح خرفي	جامعة جيجل	رئيسا
د/ وسيلة سناني	جامعة جيجل	مشرفا ومقررا
د/ فيصل الأحمر	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية: 1439–1440هـ/2018–2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ
فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا
وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ

سورة
يوسف
الآية
(101)

شكر وعرفان

نتوجه بالشكر الجزيل والحمد الكثير لله العلي القدير الذي وفقنا وأعاننا على إتمام هذا العمل المتواضع، كما نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المؤطرة على التوجيهات التي أمدتنا بها طيلة البحث فكانت نعم المشرف حيث وجهتنا حين الخطأ وشجعتنا عند الصواب

كما نشكر كل أساتذة وعمال القسم وإلى كل المعلمين والأساتذة الذين دروسني، وكل من ساعدني من قريب أو من بعيد.

طباخ هشام

صونية لبعيلي

مقدمة

مقدمة :

رافقت الرواية الجزائرية الواقع الجزائري، حيث تناولت مختلف المواضيع، ونقلت التغيرات التي حدثت في المجتمع منذ التأسيس إلى اليوم، بحكم العوامل والظروف التي أثرت على هذا التغيير، حيث رافقت الثورة التحريرية، وسايرت النظام الاشتراكي في فترة السبعينات والثمانينات، وسايرت الإيديولوجيات السائدة والطاغية على المجتمع، نتج عنها صراع على مستوى الأفكار، ثم تحول هذا الصراع إلى حرب دموية في التسعينات فتكت بالمجتمع الجزائري، فسايرت الرواية هذه المرحلة وصورتها، وعرفت برواية الأزمة .

تؤرخ رواية الأزمة لفترة حرجة من تاريخ الجزائر اتصفت بالغليان والتوتر وتصاعد العنف، حيث عكست الواقع المعاش في هذه المرحلة من خلال معالجة الأوضاع السائدة آنذاك، تعددت الروايات واختلفت بين المتأنية والاستعجالية، وكثرت المواضيع التي عالجتها. ومن هذه الروايات رواية حطب سراييفو للسعيد خطيبي التي تناولت الأزمة من عدة جوانب.

وقد قادنا هذا الموضوع إلى الإشكالية التالية: كيف تجلت الأزمة في رواية حطب سراييفو؟ وذلك من خلال الطرح الذي عرضته الرواية في تجسيد الأزمة، وكشف الواقع بمرآة شفافة ناقلة للأحداث، وشخصيات راغبة في تغيير الواقع المعاش مجسدة لآلام الأزمة باحثة عن آمال لكيانها في هذا العالم، لتعري الواقع وتكشف عن بعض من أسباب وخلفيات الأزمة.

سبب خوضنا في هذا البحث أننا رأينا أنها من الروايات المتأنية غير المدروسة التي ألقت الضوء على أوضاع المجتمع الجزائري خلال الأزمة، إذ عبرت عن الحرب والعنف الحاصل والقتل، وربطت أزمة الشعب الجزائري في هذه المرحلة في مصيره بأزمة البلقان التي شهدت واحدة من أعنف الحروب في نهايات القرن الماضي.

ونهدف من خلال بحثنا هذا إلى تسليط الضوء على جانب مهم من الأدب الجزائري خلال مرحلة محددة من تاريخ الجزائر عرفت بالعشرية السوداء وكيف تجلت الأزمة في الرواية، كون الرواية هي الجنس الأدبي الذي اهتم بتصوير هذه المرحلة من خلال مساحة لغوية للتعبير عن واقع المجتمع آنذاك.

واعتمدنا في إنجاز هذا البحث على المنهج التاريخي، لأنه الأنسب لذلك، بما يوفره من تقارب بين ما يحدث في الرواية وتواجده في الواقع المتعلق بالعصر الذي عايشته الجزائر وعايشه الكاتب معا، فاعتمدنا على تواريخ وأحداث مرتبطة بالأزمة.

وقد ارتأينا –في معالجة رواية حطب سراييفو للأزمة وفي طرحنا لهذا الموضوع– خطة

ابتدأناها بمقدمة تناولنا فيها مرافقة الرواية الجزائرية لمختلف التطورات التي شهدتها الجزائر، ثم عرضا هذا الأمر في فصول ثلاثة. الفصل الأول نظري بعنوان مواكبة رواية الأزمة للتطورات السياسية والاجتماعية،وقد خصصناه للحديث عن الرواية الجزائرية في فترة العشرية السوداء، وكيف نقلت الأزمة وجسدت أحداثها، وتناولنا فيه أيضا أثر الأزمة في الرواية الجزائرية من خلال مجموعة من الروايات التي كتبت أثناء الأزمة التي عرفت بالرواية الاستعجالية، وروايات كتبت بعد الأزمة وعرفت بالرواية المتأنية، كما تطرقنا للحديث عن مواضيع رواية الأزمة من خلال العنف والإرهاب والمثقف والغربة والحب كعاطفة نبيلة في الإنسان، وفي الأخير تناولنا تجليات الأيديولوجيا في رواية الأزمة من خلال التيارين السلطوي والديني وختمنا بخلاصة.

أما الفصل الثاني والثالث فكانا تطبيقين؛ تناولنا في الفصل الثاني الحب والحرب في الرواية ابتدأناه بتمهيد عن امتزاج الحب والحرب،ثم أبرزنا فيه مظاهر الحب والحرب خلال مرحلة الأزمة، اعتمدنا على الشواهد التي أبرزتها الرواية كما بينا عوائق الحب، فمن خلال الحرب تموت العاطفة مخنوقة لتستمر الحياة، وفي الأخير بينا كيف يتعارض الحب مع الواجب والصراع الداخلي لتقف كثير من المعارضات في وجه الحب لتمنع من استمراره، وختمناه بخلاصة كحوصلة للفصل.

أما الفصل الثالث فتناولنا فيه الهويات المفقودة والمعذبةالمكتوية بنار الحرب باحثة عن أصلها، احتوي على تمهيدأبرزنا من خلاله الاتجاهات التي اتخذتها الهوية خلال الأزمة،وعنصرينالهوية المفقودة الباحثة عن أصلها في زمن الحرب من أجل معرفة ذاتها وحقيقتها،وصراع الهويات المعذبة التي ترغب في فرض نفسها داخل جماعتهاالباحثة عن ملاذ آمن، وختمناه بخلاصة.

وفي الأخير تناولنا خاتمة كانت عبارة عن نتائج لحوصلة البحث .

وفي قائمة المصادر والمراجع اعتمدنا على مجموعة من الروايات والكتب والأطروحات والملتقيات على رأسها الرواية موضوع البحث، ورواية المراسيم والجنائز لبشير مفتي، وسيدة المقام لواسيني الأعرج، العنف والفقر في المجتمع الجزائري لبلقاسم طلاسنية، والرواية والتحولات في الجزائر لعامر مخلوف، الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة لعبد اللطيف حني .

ولا نخف أن صعوبات كثيرة اعترضت بحثنا منها ضيق الوقت بالنسبة للفترة المحددة مع تزامن الحراك الشعبي.

كما نتقدم بالشكر الخالص للأستاذة المشرفة التي كانت نعم المشرف حيث أمدتنا بالنصائح والتوجيهات خلال البحث، وشجعتنا عند الصواب.

الفصل الأول

تمهيد

1_نشأة الرواية الجزائرية

1_1_مواكبة الرواية الجزائرية لفترة السبعينات

1_2_مواكبة الرواية الجزائرية لفترة الثمانينات

1_3_مواكبة الرواية الجزائرية لفترة العشرية السوداء

2_أثر الأزمة في الرواية الجزائرية

2_1_الرواية الاستعجالية

2_2_الرواية المتأنية

3_ تيمات رواية الأزمة

3_1_تيمة العنف

3_2_تيمة المثقف

3_3_تيمة الإرهاب

3_4_تيمة الغربة

3_5_تيمة الموت

3_6_تيمة الحب

4_تجليات الإيديولوجيا في رواية الأزمة

خلاصة

تمهيد:

عاشت الجزائر في تسعينات القرن الماضي أزمة دموية كبيرة جراء الصراع العنيف على السلطة بين الأحزاب المتنافسة، منها: الإسلامي، الاشتراكي، الحاكم ... ما أدخل البلاد في متاهة كبيرة جدا، لم تجد لها حلولا إلا بالعنف والحرب والدمار والخراب،وكل هذا أدخل الشعب الجزائري في متاهة من الأسئلة المحيرة،التي لم يجد لها إجابات؛ فمن الظا لم ومن المظلوم؟من قتل هذا ولماذا قتل؟ لماذا هذه الأزمة؟ فالكل مجرم والكل بريء .

أدخل الصراع السياسي والوضع الاجتماعي المضطرب البلاد إلى مستنقع الحرب بين أبناء الوطن الواحد، حرب أهلية دامية لم نجد لها تسمية إلاّ العشرية السوداء، أو سنوات الجمر، أو سنين الدم، التي دمرت البلد عن بكرة أبيه. إذ شكلت تلك السياسات اللعينة خطرا متربصا على الحياة كلها في جميعأرجاء البلاد ، فرأينا أنه حتى القرى أعدمت عن بكرة أبيها مثل قرية بني طلحة، وقرى دمرت نتيجة القصف ... وغيرها، أحداث فجرتها مظاهرات الخامس من أكتوبر 1988م، إذ شكلت قطرة ملأت الكأس، وما وقع فيها من اضطرابات وصدامات بين السلطة والشعب، ومن ثمة ظهور التشعبات والتناقضات والانقسامات .

أدى النظام القائم على الحزب الواحد إلى احتكار السلطة، وغلق المجال أمام بروز الأحزاب والمشاركات السياسية بداعي الشرعية الثورية، وذلك وفق أطر يضمن لها شرعية الحكم من خلال << عملية الإقصاء التي تتعرض لها قوة اجتماعية ذات توجهات سياسية وعقائدية مغايرة، بحيث تمنع من الدفاع عن مصالحها بطريقة منظمة وضمن أطر شرعية>>[1]، فتنظم وتسن القوانين وفق مصالحها الخاصة، إضافة إلى التحكم في الأموال والتدخل العسكري، فيتمخض عن ذلك الاضطرابات والاحتجاجات والحرب ... وهذا نتيجة إقصاء الأخر، ومحاولة الإنفراد بالحكم والسلطة في طبقة معينة قليلة تتمتع بكل شيء على حساب غالبية الشعب، الذي لا يملك إلا حق وضع ورقة في صندوق الانتخاب الذي حسم أمره قبل إجراء الانتخابات .

[1] بلقاسم طلاسنية، سامية حميدي: العنف والفقر في المجتمع الجزائري ، ط1 ، دار النشر والتوزيع ، القاهرة ، 2008م، ص182 .

1_نشأة الرواية الجزائرية :

نشأت الرواية في الجزائر مفصولة عن نظيرتها العربية وغير متصلة بالغربية، لها جذور عربية، كالسير والرسائل والرحلات، وكان أول عمل ينحو إلى العمل الروائي هو حكاية العشاق في الحب والاشتياق سنة 1843م لمحمد بن إبراهيم ثم تلاها عدة محاولات منها غادة أم القرى 1947م لأحمد رضا حوحو، الطالب المنكوب 1951م لعبد المجيد الشافعي، صوت الغرام 1967 لمحمد المنيع، ويرى كثير من النقاد أن البداية الفنية تعود إلى سنة 1971م مع رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة.

1_1_مواكبة الرواية الجزائرية لفترة السبعينات:

ظهرت في فترة السبعينات عدة روايات ميزت هذه المرحلة عن المرحلة السابقة، ومن هذه الروايات التي ظهرت في هذه المرحلة :رواية ريح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة، ورواية ما لا تدره الرياح لمحمد عرعار، واللاز والزلزال للطاهر وطار، وهذه الأعمال مهدت لتجربة روائية جديدة استطاعت أن تبتعد عن التجارب السابقة التي ارتبطت بالثورة، لتعرف الرواية مجالا سياسيا واجتماعيا واسعا سمح للرواية بالازدهار في ظل حرية الانفتاح، وكان الطابع السائد في هذه المرحلة مواكبا للتطورات الحاصلة، فكان كثير من الروائيين متصلين بممارسة السياسة أو قريبين منها وهو ما منح بعدا سياسيا للرواية في هذه الفترة.كتب عبد الحميد بن هدوقة رواية ريح الجنوب أثناء الثورة الزراعية مساندة للخطاب السياسي آنذاك، الذي كان يحمل آمالا كثيرة لتطوير الفلاحة، والخروج من حياة الإقطاع إلى حياة أكثر تقدما، ورفع البؤس والشقاء ومناهضة كل أنواع الاستغلال[1] من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي، وقد برز هذا الخطاب السياسي في قانون الثورة الزراعية في 8نوفمبر 1971م، وهناك تجسدت أفكار الرواية وأحداثها، وهي << حكاية أب إقطاعي يدعى ابن القاضي رغب في تزويج ابنته نفيسة لرئيس البلدية بغرض المحافظة على أملاكه من المشروع الجديد والمتمثل في الثورة الزراعية لكن ابنته رفضت، لقد استطاع ابن هدوقة أن يربط بين حرية المرأة والتخلص من الإقطاعية بشكل ذكي جدا، ففشل المشروع متعلق بالزواج،>> لا يمكن أن تتحرر المرأة والأرض دون تغيير العلاقات الاجتماعية السائدة، فالإقطاع لا يمثل في الماديات وحدها، بل هو قبل كل شيء مواقف معينة >>[2]، ليصور لنا ابن هدوقة الصراع القائم بين طبقة إقطاعية تحب الاستغلال

[1] ينظر: عمر بن قنينة : في الأدب الجزائري الحديث ، تاريخا وأنواعا وأعلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 197 ، 198 .
[2] أحمد فرحات : أصوات ثقافية في المغرب العربي ، الدار العالمية للطباعة و النشروالتوزيع، لبنان، ط 1، ص 89

وإبقاء الأوضاع على حالها، وطبقة من المتقدمين تعمل من أجل مصالح العامة ترفض كل أنواع الاستغلال، ولا يبتعد كثيرا في ذلك الطاهر وطار في أعماله الروائية، فيحاول إبراز أسباب الإخفاق بعد الاستقلال، ففي روايته اللاز يعود إلى سنوات الثورة ليبحث عن الأسباب التي عرقلت الثورة، فالشخصية الرئيسية اللاز بن مريانة يتحول إلى رمز للشعب ككل ليجد ضالته في أبيه الذي يمثل التيار الشيوعي ليربطه بأصل غير أصله، وهو ما لا يتماشى مع الواقع الجزائري لكنه يصرح في بداية روايته:<< أنني لست مؤرخا ولا يعني أني أقدمت على عمل يمد بصلة أنني قصاصا، وقفت في زاوية كبيرة على التاريخ رغم أن بعض الأحداث المروية وقعت أو وقع ما يشبهها لألقي نظرة معينة بوسيلتي الخاصة من حقب ثورتنا >>[1]، ليبرز الكاتب رؤية إيديولوجية محددة ارتبطت بمرحلة محددة، وواصل أفكاره تلك في روايته الزلزال التي تسرد قصة رجل عاصمي إقطاعي يحاول حماية أملاكه من الثورة الزراعية ويبرز كيف تغيرت الحياة، فيصور المدينة ومشاكلها الناتجة عن الهجرة، وجعل من مدينة قسنطينة مكانا لتجسيد الأحداث، وهذه المضامين الروائية سارت في طريق الإيديولوجية الاشتراكية .

1_2_مواكبة الرواية الجزائرية لفترة الثمانينات :

تمثل فترة الثمانينات فترة تجديدية لما قبلها لتشهد الساحة الروائية تجارب روائية كثيرة منها، << روايات واسيني الأعرج مثل: وقع الأحدية الخشنة التي صدرت سنة 1981م، وأوجاع رجل غامر صوت البحر سنة 1983م، رواية نوار اللوز أو تعريته صالح بن عامر الزوفري" سنة 1982م، التي يستثمر فيها التناص مع تغريبة ابن هلال وكتاب " المقريري" "إغاثة الأمة لكشف الغمة>>[2]، وكتب أيضا ما تبقى من سيرة لخضر عمروش 1983م التي تمثل نظرية نقدية للواقع الجزائري. <<كما كتب الحبيب السايح رواية زمن التمرد سنة 1985م، وكذلك أعمال جيلالي خلاص رائحة الكلب سنة 1985م، وروايته حمائم الشفق سنة 1988م، كما كتب مرزاق بقطاش روايته البزاق سنة 1982م وعزوز الكابران سنة 1989م>>[3]، أبرزت هذه الروايات بروز تنامي إيديولوجيات على مستوى الساحة الفكرية وإظهار وتعرية الظلم والعنف الذي كان يشهده المجتمع الجزائري.

[1] الطاهر وطار :اللاز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط2، ص19

[2] بن جمعة بوشوشة: التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية المطبعة المغاربية للطباعة و النشر، تونس، طبعة 1، 2005، ص 09

[3] نفسه ، ص09

أصدر رشيد بوجدرة عدة أعمال روائية منها رواية التفكك التي أنتجها سنة 1982م، والرث الصادرة سنة 1984م، إضافة لليليات امرأة آرق سنة 1985م، ومعركة الزقاق سنة 1986م[1]، وهي ليست كل أعماله بل تمثل الأكثر انتشارا في هذه المرحلة، << كما يتابع الطاهر وطار في هذه الفترة كتابة جزئه الثاني من رواية اللاز وهي تجربة العشق والموت في زمن الحواشي وذلك سنة 1980م الذي يرسم فيها مآل الثورة بعد الاستقلال، عبر اصطفاف بين الحركة الطلابية وممن يتوسلون لجهد الثورة الزراعية، ويجهزوا على التحول الاشتراكي >>[2]، تعددت القضايا التي عالجتها الرواية مع الرؤية الخاصة لكل روائي وحسب توجهه الإيديولوجي ليكشف عن قضايا الواقع الجزائري في هذه المرحلة، وما يلفت الانتباه هو اتجاه رواد الرواية إلى هذا الاتجاه الجديد والخوض فيه، << حيث نشر عبد الحميد بن هدوقة الجازية والدراويش سنة 1983م التي مثلت إضافة نوعية لمسيرته في عمله الروائي، حيث استثمر فيه سيرة بني هلال ليتناول من خلالها إشكاليات الثورة خلال زمن الاستقلال وما يتم عنها من صراعات وتشخيص وإخفاق العديد من اختياراتها وانحراف ممارساتها عن الأسس والمبادئ الأصلية التي تبنتها زمن حرب التحرير، وهي النقدية السياسية التي بلور معالمها الأديب الطاهر وطار في تجربته في العشق سنة 1988م حيث كشف عنها عن سمعة السلطة، روايته "الحوات والقصر" سنة 1980م، والقمعية والوصولية و الانتهازية التي تحكم جزائر الاستقلال، وهذا في صياغة جزئية لم تتهيب من المحظور السياسي>>[3]، تهدف معظم هذه الأعمال إلى التجديد ما مهد لظهور الكثير من الأعمال التي تمجد للثورة والاستقلال، وتنزه المجاهدين والشهداء عن الأخطاء، << وهذا ما تعكسه روايات الانفجار 1984م، وهموم زمن الفلاقي1985م، وبيت الحمراء 1986م، الانهيار 1986م لمحمد رتيلي، والضحية 1984م لحيدوسي رابح، وأخيرا تتلألأ الشمس لمحمد مرتاض وغيرها من النصوص الروائية التي اسهمت في تكريس إيديولوجية السلطة المهيمنة وهو الموقف الذي لم تلتزم به كثير من التجارب الروائية التي تناولت هي الأخرى ثورة التحرير قبل الاستقلال وبعده >>[4]، ومن بين الذين حافظوا على هذا المجال واسيني الأعرج، رشيد بوجدرة، لحبيب السايح ... وما يلحظ على هذه الأعمال افتقار أصحابها لعناصر الوعي والإدراك لفهم طبيعة تحول المجتمع، وفهم الصراعات والتناقضات الخفية.

1_3_مواكبة الرواية الجزائرية لفترة العشرية السوداء :

نقلت المتون الروائية الجزائرية خلال التسعينات الأزمة في طياتها، وبينت ثنايا الواقع الجزائري وظروفه، فتجسد الرواية هموم الشعب وتساير الواقع، إذ تصوره من وجهة نظر الروائي الخاصة، نظرا لطبيعة الصراع القائم بين أطراف متناقضة في سياستها وإيديولوجيتها، وهذا كونه يعيش تحت ضغط الأزمة، متحملا كل ما ينتج عنها من

[1] نفسه ص 09
[2] نبيل سليمان : التجريب في الرواية الجزائرية ، ص 68 .
3ينظر: بوجمعة بوشوشة ، الرجع السابق ، ص 10
[4]نفسه ، ص 10،11

خوف وألم، وسفك الدماء وكل مظاهر الرعب الواقعة على رأسه، وإن أبدى ما يثير غضب الغير فإن يصفى جسديا، وتصادر جميع أملاكه .

دفعت أحداث الخامس أكتوبر 1988م الروائيين والكتاب إلى تسجيل وتدوين الأحداث والوقائع الحاصلة، حيث كثرت الأعمال الروائية مقارنة بما قبلها، دارت أغلب أحداثها حول الحرب والدين والإرهاب ... إذ شكلت الرواية شهادة حية عوضت التغطية الصحفية التي اختفت أنداك بسبب اغتيال الصحفيين والنشطاء والمعارضين ... << ويمكن القول أن الخطاب الروائي الجزائري تحول مع مطلع التسعينات إلى التعبير عن هموم الفئات والشرائح والطبقات الاجتماعية الصاعدة وتطلعاتها، فقد جاءت تسمية أدب المحنة لكون هذا الأدب عايش وترجم تلك المتاهات الغامضة لمجتمع أصبح نهاره ليلا لشدة وفظاعة ذلك الظلم والقهر الذي كان يعايشه أفراده، حيث تشتت القيم وتبددت الحقيقة، فأدب المحنة هو الوجه الآخر لمحنة الكتابة والتمزق الذاتي >>[1]، جعل الكتابة الروائية بصدق وموضوعية جد صعبة بل شاقة ومتعبة جدا، إذ يمثل نقل الأحداث وإيصالها إلى القراء يحتاج إلى شجاعة ومخاطرة وتضحية بالنفس، ووضع الحياة على المحك، فالروائي في هذا الموقف قد وضع نفسه في طريق رصاصة الموت. فالمعبر عن حال الأمة وجد نفسه في زنزانة متحجرة من نار السلطة وجحيم الإرهاب المخيف مهما كانت صفته ؛ موظف، رسام، نحات، صحفي، أستاذ، محقق، كاتب ... <<إن الإرهاب ليس حديثا بسيطا في حياة المجتمع، ولا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يقترفها ودرجة وحشيتها، وعندما يتعلق الأمر بالجزائر، فإن الإرهاب تقاس خطورته بكل تلك المقاييس جميعا، إذ يستغرق مدة قصيرة لكن انشغال الناس في سعيهم اليومي وأرقهم الليلي لم يمنع بعض الكتاب من تسجيله، بل إن نقله هو الذي يفرض على الكاتب حالة من الحضور يصعب عليه أن يتنصل منه>>[2]فالأزمة كانت على أعين الروائيين وفي أقلامهم، فالعنف والقتل والهمج كان مدار أعمال الرواية التسعينية، وتعدى ذلك إلى عشرية التحول نحو اقتصاد السوق، وكان له ضريبة كبرى على المجتمع في ظل الصراع العالمي والتحول من الثنائية القطبية إلى الأحادية القطبية، وتسريح العمال، وانتشار الآفات الاجتماعية والفقر، وإلغاء الانتخابات سنة 1992م، وغيرها من أحداث كان لها تأثير من السوء إلى الأسوء على الحياة اليومية للمواطنين.

[1] ابتسام يوسف ، أمينة بوالصابون : تمظهرات الصراع السياسي لفترة العشرية السوداء في الرواية الجزائرية ، رواية متاهات ليل الفتنة لأحميدة عياشي أنموذجا ، مذكرة ماستر ، جامعة جيجل ، 2018/2017م ، ص 34 .

[2] مخلوف عامر : أثر الإرهاب في الرواية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 22، العدد الأول ، د ط ، 1999م ، ص 304 .

نظرا لطبيعة هذه المرحلة المعقدة والباحثة عن الانفتاح ظهرت رواية المعارضة واحتلت مكان رواية السلطة التي فقدت هيبتها بعد 8 أكتوبر 1988م نتيجة التعددية الحزبية واعتبار حرية التعبير في الدستور حق من حقوق التعبير، فسايرت الرواية ذلك التطورات، وكان الراوي الجزائري واع بكل التطورات كونه فرد من الجماعة معبرا عنها من خلال رواياته، وتمكن مرزاق بقطاش في روايته عزوز الكابران سنة 1989م من تجسيد التيار الديني السلفي خلال الأزمة من خلال شيخ الجامع الذي يحمل النزعة الوطنية الباحث عن الحق والعدالة، مدافعا عن الهوية الوطنية الموحدة تحت راية الإسلام، حيث يلتقي بمعلم في زنزانته ويخبره بأنه غير راض عن عمله لأنه لا يعلّم الأطفال الحقيقة، وينبغي عليه أن يعلمهم ذلك، ويجب أن يتمردوا على الحاكم لأنه طاغوت في رأي التيار السلفي خلال الأزمة، مثل عزوز الكابران، وهي رواية تشير إلى التضامن الوطني القومي مع السلفي المتدين من أجل انقاد الوطن، كون أبناء الجزائر مسلمين فعند سماع قول الله أو الرسول فلا نقاش في ذلك، فالشيخ هنا مصدر الأفكار، أما السلطة هنا فتجسدها الرواية على أنها تجر البلاد إلى مستنقع الدم من خلال العنف والاستبداد والظلم لتجسد مبدأ الحفاظ على السلطة . وقد كتب على غلافها سنة 1989م بأن الشعب الجزائري يعلن رفضه لمحتكري الرأي الواحد، مهما كانت الأسباب والدوافع والخلفيات التي دفعت إلى ذلك. هذا الاتجاه نحت نحوه رواية الأزمة التسعينية مختلفة بذلك عن رواية السبعينات والثمانينات التي كانت مع إيديولوجية السلطة والحزب الواحد ، والواقع الاجتماعي أيضا << كان حاضرا بقوة بكل تناقضاته ومفارقاته وجد الروائيون أنفسهم اليوم مجبرين على الخوض فيه أكثر من كونه ترفا روائيا مغريا بالكتابة الإبداعية، كما يرى بعض النقاد حاجة اجتماعية قبل أن تكون حاجة فنية >>[1]، استطاعت الرواية في هذه المرحلة التأريخ لفترة اتسمت بأزمة دموية شديدة، تمكنت من رصد ما يحدث داخل المجتمع والتعبير عنه بطريقة فنية تصور المعاناة الشديدة للشعب الجزائري في هذه المرحلة.

نظر كثير من النقاد إلى رواية الأزمة على أساس أنها تجاوزت جميع الأطر في نقدها للواقع السياسي والاجتماعي،<< فموضوعاتها تنحصر في جدلية العلاقة بين الرجل والمرأة وصورة المدينة وموضوع الثالوث الاجتماعي: الجنس، السلطة، الدين، بالإضافة إلى صراع القيم ومشكلة الهوية والانتماء والتاريخ والموت زمن

[1] مليكة ضاوي: تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية (1995م_2005م) دراسة موضوعاتية ، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه ، 2014م 2015م ، جامعة الحاج لخضر باتنة ، ص 65

الإرهاب >>[1]، مما جعلها تتطرق للواقع الجزائري من جوانب مختلفة حسب ما يقتضيه هذا الواقع، والذي فرض الكتابة في مثل هذه المواضيع كونها ضرورة حتمية لابد من تعريتها والكشف عنها والظلم الذي تجسد من خلالها.

2_أثر الأزمة في الرواية الجزائرية:

تنوعت العناوين الروائية خلال الأزمة وبعدها، واختلفت حسب وجهة نظر كل روائي، وقد عرفت الرواية خلال العشرية السوداء (1990_2000م) بالرواية الاستعجالية، وما بعد هذه الفترة عرفت بالتأني، وهناك من يرى أنه لا رواية استعجاليه ولا رواية متأنية وإنما أدب غلب عليه الطابع الإيديولوجي وأن الأدب إنتاج مسايرللحياة.

2_1_الرواية الاسعجالية:عرفت الرواية خلال الأزمة بالاستعجالية، والاستعجال يعني الكتابة دون الاهتمام بالجوانب الأدبية والمظاهر الفنية والجمالية، دعت إليه حاجة التسرع وعدم التروي، يشمل التحقيقات الصحفية والحوارات التي تمثل أطراف الأزمة ف << هي مجرد كتابات إيديولوجية وسطحية استغلت الحدث أكثر مما أعطته من عمق إنساني وأدبي إبداعي، ولا أقصد هنا أنها توضع في خانة ما اصطلح على تسميته بالأدب الاستعجالي، وإنما غاصت في الأحداث بنظرة مسبقة ورؤية إيديولوجية>>[2]، ففي هذه المرحلة تسارع الروائيين إلى تصوير الأحداث والوقائع دون إعطائها أي أهمية، ومن أهم الروايات التي كتبت في هذه المرحلة:

_روايات بشير مفتي التي أخذ مواضيعه فيها من العشرية السوداء التي عاشتها الجزائر في أواخر القرن الماضي، فكان أهم مواضيعه معالجة وضع المثقف ومحنته خلال هذه الفترة، إذ تجسد المثقف في صورة ذلك الشخص الإيجابي المدافع عن وطنه بقلمه وبقلبه، وأحيانا يتجسد في الشخص السلبي الذي يحمل الثوب الانهزامي جراء الأحداث الدموية التي شهدتها الجزائر من اغتيال وقتل العديد من المثقفين، سواء معلمين وأساتذة أو صحفيين وكتاب وغيرهم، وأحداث أكثر جعلت الكاتب << يتراكب في راهن الجزائر المشوش بالاندفاعات السياسوية والتعتيمات الإعلامية واستراتيجيات الكبت مقابل ظواهر ليس لها الجرأة على قول أسمائها ، ويمنح هذا الراهن الانطباع بأنه على وشك الانمحاء، ليستخلفه راهن لا يملك التحليل عن أي حدس أو استشراف >>[3]، وهو ما جعل المثقف سلبي ينعزل عن الكتابة حفاظا على حياته التي كانت بين مطرقة السلطة وسندان الإرهاب،

[1] نفسه ، ص 67 .
[2] محمد شفيق مصباح : الجزائريين ركوض ونهوض ، تر: محمد مهناد le soir d' algerie ، دط ، ص250 .
[3] بختي بن عودة: رنين الحداثة ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 1999م ، ص103 .

<<فرواية التسعينات هي رواية مثقف من زمن عنيف جعلت هذا المثقف يعاني مسألة الوجود في واقع فقد الاستقرار الأمني >>[1]، والدليل على ذلك أن جل الروائيين مثقفين، كما أن الروايات تعكس شخصياتهم، إذ يصح إسقاط أبطال الرواية على الروائيين .

النصوص الروائية لبشير مفتي إسقاط للواقع الجزائري خلال العشرية السوداء، إذ أن الموت يخيم على الأجواء في كل مكان، << فغدت الجزائر بلد يموت فيه كل الناس، كل يوم بالعشرات، إن صور المجازر على الصفحات الأولى من الجرائد أصبحت هي الحقيقة الوحيدة التي لا لبس فيها >>[2]، فهي صورة الجزائر في رواية المراسيم والجنائز، فالعنوان يوحي بالموقف المهول، والفضاء الدموي، يسيطر الخشوع والتأمل أمام المقابر، ليحل السواد والحزن والكآبة، وطبيعة المأساة تدور كلها حول الوطن كجثة هامدة تنهال عليها المآسي من كل مكان، ليصف لنا الكاتب كشخصية مثقفة ذلك الصراع بين الجبهة الإسلامية للإنقاذ والسلطة، وقد كتب مفتي بشير كثيرا عن المثقف خلال الأزمة كما في رواياته: أرخبيل الذباب، شاهد العتمة، بخور السراب، خرائط لشهوة الليل ... وقد كان المثقف دائما هاربا من بلده ليشهد آلام الغربة لأنه لا يجد في العيش اختيار، فهو هاجر مرغما باحثا عن مكان آمن.

جسدت رواية المراسيم والجنائز (سنة 1998م) كل مظاهر الأزمة من خلال العنف الذي سيطر على كل شيء، من خلال تعدد القصص في الرواية، << والتي عكست محنة الوطن بصورة مختلفة، كقصة وردة القاسي التي لا تقوى على شيء أمام المال وتكون نهايتها الانتحار، وقصة الشاعرة رحمة التي قتلت نتيجة انفجار قنبلة، وقد عانت كثيرا من التهميش مما اضطرها إلى العزلة، وقصة صالح بوعنترة الأب الذي كان متأملا من ابنته أن تصبح طبيبة، لكن خانته الأيام بأن التحقت بصفوف الظالمين فتموت هناك >>[3]، فالعشرية السوداء التي سببها جماعات من الحمقى والخونة لا تبرز إلا الألم ولا ترى وتسمع إلا القتل والذبح والانفجارات، وليس بعيدا عن ذلك رواية بخور السراب التي جسدت العنف السلطوي في المجتمع أو ما يعرف بسلطة الأب الذي يعمل في مقبرة، يسيطر على ابنه القلق والحيرة والضياع منذ صغره كونه يعيش معه علاقة معقدة ومتوترة، حاول الكاتب التنبيه إلى السلطة الظالمة التي تقبع في قفص الاتهام في ممارساتها غير الشرعية لأعمال العنف التي جسدتها على

[1] شريف حبيلة : الرواية والعنف ، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2009م ، ص212 .
[2] مفتي بشير : المراسيم والجنائز ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، الجزائر ، 1998م ، ص16 .
[3] عامر مخلوف : الرواية والتحولات في الجزائر ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2000 ، ص88 .

المثقف وأرغمته على الصمت، وكبت الحرية الفردية والجماعية ومحاولة الاستيلاء على هذا الشعب بالقوة وسد فمه بلغة السلاح.

ـ رواية تيميمون لرشيد بوجدرة (1994م) من أهم الروايات التي عالجت الأزمة الجزائرية، تدور أحداثها في الصحراء، تبدأ أحداث الرواية بانطلاق الحافلة التي يقودها الراوي إلى هذه المدينة الجزائرية الكبيرة، لتبرز<<تيميمون هي رحلة وسط الصحراء الشاسعة بمختلف تضاريسها، وسمائها الصافية، فيهيم الكاتب مع هواجسه وحديثه الداخلي مع نفسه عن ذكرياته وماضيه في هذا العالم الصحراوي البعيد عن الإرهاب وعنفه>>[1]، وبما أن الراوي بعيدا عن الحرب وأهوائها فإن الأخبار تصله عبر الراديو، يتذكر أحداث أليمة كموت أخيه، ومعاملة أبيه لأمه معاملة قاسية ومتحجرة، وعلاقاته المضطربة مع النساء، وإدمانه على المشروبات الكحولية. يحضر البطل في الأحداث حسيا ومعنويا، يسمع الراوي أخبار الاغتيالات كاغتيال أستاذ داخل منزله أمام ابنته، واغتيال صحفي بالقصبة، مجزرة تخلف العديد من القتلى والجرحى، واغتيال أم لتسعة أطفال، واغتيال الطاهر جعوط، حرق مدرسة ابتدائية بمدينة البليدة، لتجسد لنا رواية تيميمون الواقع العنيف والهمجي الذي مس الجزائريين خلال العشرية السوداء، فالأزمة قضت على كل شيء حتى العلم والمعلمين والمتعلمين والوسائل البيداغوجية، أدى ذلك إلى انتشار الجهل، واغتيال المثقفين والأبرياء والفقراء، لتبين فاعلية الكتابة الروائية الجزائرية وحشية المجرمين والقتلة وعملاء فرنسا.

ـعالجت روايات ياسمينة خضرا (1999م) أحداث مختلفة خاصة ما يتصل بتعقب الجماعات الإرهابية وبقايا المجازر التي يدخلها الجيش كونه ضابط في الجيش الجزائري أنداك، فكان مطلعا على كل ما يجري خلال العشرية السوداء، وهو الفرق الوحيد بينه وبين روائي الأزمة فهو مشارك فعلي في حرب الإرهاب، وتبرز رواية بماذا تحلم الذئاب بدقة متناهية كيف سرقت العديد من أرواح الأبرياء والضحايا، تتبع فيها مسار شباب فنانين، يعالج بذلك أزمة الفن والحصار الذي مورس اتجاه الفنانين، لتعكس بذلك الرواية المرارة والفراغ والتيه والفوضى التي عالجتها البلاد، بقسوة كبيرة جدا، وتبرز الرواية حالة الفقر والبؤس والتفاوت الطبقي والنهب واستغلال الفقراء وظهور الفوضى التي سيطرت على كل شيء داخل الجزائر، وتطرقت الرواية إلى الصراع السياسي فيذكر الروائي: الفيس والجيا وصراع السلطة، فتعدد التيارات جعل من كل طرف يحاول فرض نفسه والسيطرة على الحكم، من خلال تجسيد شخصية نافع الذي يعيش فقيرا يتحمل الذل والاحتقار في واقع مزري جدا فتأخذه الظروف للالتحاق

[1] عبد اللطيف حني: الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة ، أعمال الملتقى الثاني في الأدب الجزائري ، ص275 .

بالقتلة وحمل السلاح ويشارك في عمليات ضد النظام إلى أن يتقلد رتب في هذه الجماعات ويتذوق طعم السلطة، ويشارك في عمليات قتل جهنمية نتيجة لإغراءات قدمت له لكن الإجرام الواقع والقتل الدموي المأساوي يأخذه التساؤل << بما تحلم الذئاب وهي في جحورها بين زمجرة شبعانة وأخرى حين ترف ألسنتها في الدم الساخن الطري لفريستها المعلقة المحلقة في أفواهها التي تثير الغثيان كما تتعلق في ألبستنا أشباح ضحايانا>> وهو حال الجزائر خلال العشرية السوداء .

اختار محمد مولسهول في معالجته للأزمة تسليط الضوء على الصراعات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وإبراز الصراعات الإيديولوجية من خلال الفن.

ـ رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار(1996م)، يدخل القارئ في دهاليز كثيرة ما إن ينفك ويخرج من دهليز حتى يجد نفسه واقع في دهليز آخر، فيبقى أسيرا لكثير من التساؤلات، وهي حالات كثيرة يسيطر فيها الشر على الخير، لكن الشمعة بنورها الخافت تبقى تنير دائما، والرواية لا ترد الإرهاب لجهة معينة ولا إلى الحركة الأصولية كما فعل الكثيرون، إنما انطفاء شمعة المثقفين يعود إلى عدة أطراف اتفقت على العنف والهمج، فأحداث الرواية جرت قبل انتخابات 1992م، فهي لا تبرز أسباب الأزمة على الرغم من أنها وظفت وقائع كثيرة، إنما ركز الطاهر وطار على جوانب خفية لها أثر على دور المثقف الجزائري. وقد أبرز الطاهر وطار ظاهرة الإرهاب بشكل صريح في روايته العشق والموت في زمن الحواشي حيث صور حركة الإخوان المسلمين والمتطوعين لصالح الحركة الزراعية، استطاعت الرواية مواكبة التحولات الطارئة السياسية والاجتماعية للجزائر عبر مختلف المراحل.

2_2_الرواية المتأنية:عرفت الرواية بعد العشرية السوداء بالتروي والتريث، اهتمت بدراسة الأفكار والواقع وتصوير الظرف المأساوي الذي عايشه الشعب الجزائري، والهلع النفسي الذي خلفته الحرب على المجتمع، على عكس الرواية الاستعجالية التي كتبت تحت نار الحرب والرعب والخوف، فالروائي عبر عن مشاعره بكل صدق على غرار الرواية المتأنية التي كان الأديب مرتاح في كتابتها، إنما يعيد تذكر أحداث الماضي سواء عاشها أم لا، ومن أهم الروايات التي كتبت في هذه المرحلة :

ـروايات أحلام مستغانمي من أهم الراوايات التي صورت الأزمة خاصة رواية ذاكرة الجسد، وهي مرجع مهم لدراسة أدب الأزمة في فترة التسعينات بالجزائر، تنطلق من زمن العشرية السوداء في رواياتها ذاكرة الجسد ، عابر سرير، فوضى الحواس، الأسود يليق بك.

أصدرت ذاكرة الجسد سنة 2013م، لكن أحداثها تبدأ من أكتوبر 1988م، تحدثت فيها كثيرا عن الجزائر في صورة حياة المرأة التي دائما ما يكون في حاجة ماسة إليها، وعبرت عن التغيرات والفوضى التي جرت، فالجزائر أصبحت تعيش واقعا مريرا لا يطاق، لا يرى فيها إلا سنوات يوسف العجاف، وأيام حرب لا تنتهي تعد بسنوات الخراب والدمار العنيف والحرب، حتى صارت الأرض كالييباب، وتنتهي أحداث الرواية بخبر القتل وتسابق الجرائد الفرنسية ونشرات أخبارها إلى هذه الأحداث، ليشفى غليل هؤلاء الأعداء بأنهم حققوا مرادهم بأن يروا الجزائر دولة مقسمة ومنهارة من أجل مواصلة نهب خيراتها وثرواتها، وفي رواية عابر سرير تعبر أيضا عن الوطن مكسور ومدمر ومنهوب ومسلوب << ترتسم منذ البداية الرواية صورة الوطن المخادع الذي أصبح العاشقون فيه يخشون على أنفسهم إن حاولوا أن ينعموا باللقيا والمواعيد >>[1]، وتجسد الرواية الأحداث بصورة واضحة ومباشرة في صورة جرائم فضيعة وهمجية سواء مادية أو معنوية يفزع منها كل من رآها، ويشمئز قلب القارئ، وفي فوضى الحواس تكشف عن لحظات مشمئزة عند وفاة محبوبها الذي أحبته بالخطأ لأن حواسها خدعتها، لتجسد الرواية فوضى يعيشها البطل وحده، وهي حالة جزائر العشرية السوداء، فوضى يقتل فيها الأبرياء لا ذنب لهم سوى أنهم ولدوا في هذا الوطن، يموت الكبير والصغير محاطا بالخوف من كل مكان، وقد صورت الرواية ما تعيشه البلاد بصورة فنية يستطيع القارئ إدراكها من خلال معطيات النص، إذ أن الحب يموت كونه عاطفة نبيلة ويذبل في أرض الخلافات نتيجة الحرب والقتل، لكن أبناء الوطن يبقى لهم أمل في أن تعود البلاد إلى الطريق الصحيح، ولا تبتعد في ذلك في رواية الأسود يليق بك، إذ تصور تداخل العنف بقتل والد البطلة هالة الوافي، والضغط الممارس على أخيها من أجل الالتحاق بالجماعات المسلحة، وتكون النهاية مأساوية بمقتل والد علاء من طرف الإرهابيين نتيجة عدوله عن الالتحاق بالقتلة وممارسة العنف، لذلك تسيطر المعاناة على بطلة الرواية وترتدي الأسود في صورة الجزائر، لكن البطلة تهاجر وتتخلى عن مهنة التعليم وهو حال المثقفين الجزائريين خلال الأزمة.

_عالجت رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج (2005م) الأزمة من خلال انحلال وفقد كل أنواع الأمل في ظل التطرف الديني، الذي ولد ظاهرة الإرهاب والعنف والاستبداد والظلم وتسلط الدولة، وسيطرة أصحاب الحكم، وتعرض المثقفين للظلم والسجن والاغتيال من خلال التصفية الجسدية ... وتصور الرواية الصراع بين المرجع الديني والمرجع العلماني، ويميل الكاتب إلى المرجع العلماني ويبدي عدوانيته اتجاه الدين، إذ يرى الدين نوع من التخلف وهو من أهم أسباب فساد جميع الأنظمة، والمتمثل في الإرهاب (حراس النوايا) كما يسميهم، فهم سبب الإجرام

[1] الحاج بن سراي : جدلية الوطن والمنفى في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، أعمال الملتقى الثاني للأدب الجزائري ، ص228

والقتل، كما تطرح الرواية أزمة الهوية والبحث عن الذات، وربطها بجذور الأزمة فيصور معاناة مريم الفتاة التي ترمز للمرأة الجزائرية الصامدة، وتؤدي تسلسل الأحداث في الرواية إلى البطل منتحرا بعد حالة اليأس والإحباط التي سيطرت عليه، هروبا من الواقع المأساوي والمرير الذي قضى على هويته ووجوده، ويرجع سبب المعاناة إلى النظام والتيار المظلم، ويبين البعد التاريخي والإيديولوجي والسياسي للأزمة في اغتصاب حرية المجتمع.

_تبرز روايات فضيلة الفاروق الأزمة بشكل واضح من خلال روايتيها مزاج مراهقة(2009م) وتاء الخجل (2003م)، ففي رواية مزاج المراهقة تسلط الضوء على واقع المرأة الجزائرية خلال الأزمة، حيث كان عليها الانصياع لرغبات الرجل مهما كانت صفته أو رغبته، فأبرزت الجانب التمردي للمرأة في مختلف مراحل حياتها، وتبرز أيضا الأزمة التي عصفت بالبلاد ووحشية الجرائم واستهداف جميع شرائح المجتمع، فمن نجى من الموت لم ينجو من آثار الصدمة بفقدان أعز ما يملك، فتسلط الضوء بنظرة واقعية لسياسة الجزائر أثناء الأزمة تتضارب فيها مختلف مشاعر الخوف والحب واليأس والحزن والألم ... التي لحقت النفوس، وحالات الدمار والقتل والهمج التي خلفتها الأزمة، لتقدم لنا فضيلة فاروق مشهد مؤلم جدا حين تنهار الأسرة بموت ولدها البكر وتتحطم آمالها، تقول على لسان نرجس:<< والدي ردد الله أكبر يرثي حلمه الذي قتل، كان ينتظر نهاية السنة ليقال له والد المهندس، صار على مقربة من حلمه ينادي والد الإرهابي >>[1]، وهو مشهد كثير ما يتكرر داخل الأسر الجزائرية فالموت يحيط بالجميع من كل مكان، والمطالبة بالأمن جريمة فما بال بحقوق المواطن البسيطة، ليواجه الشعب الموت المجاني ثمنا لأخطاء السياسيين الذين كانوا سببا في الأزمة وفشلوا في تسييرها، وفي رواية تاء الخجل تصور حياة صحفية جزائرية تبرزها في تحقيق عملية انتحار فتاة لتصل إلى حقيقة أنها قفزت من أحد جسور قسنطينة تلبية لرغبة أبيها، لأنها اغتصبت من طرف مجرمين، فتصدم هذه الصحفية نتيجة الواقعة التي حلت، لتبرز بذلك الاغتصابات الجماعية خلال العشرية السوداء، تضطر لمغادرة الوطن لأن الوضع فيه لا يحتمل مع مجموعة منى المغتصبات، لتبرز الرواية حضور الذات المعذبة من خلال محنة الصحفي أي المثقف الجزائري خلال الأزمة كشهادة على الواقع المرير الذي وصلت إليه الجزائر خلال العشرية السوداء، وهو حال فرض على الشعب الجزائري القابع تحت الأزمة.

_نقل حميدة العياشي من خلال روايته متاهات ليل الأزمة (2001م) الصراع القائم بين مختلف الطوائف، وما صاحبه من تغيرات في المجتمع الجزائري كانت كلها تصب في الأزمة، استطاع العياشي نقل مختلف الصراعات

[1] فضيلةالفاروق : مزاج مراهقة ، دار الفرابي ، بيروت ،لبنان ، ط2 ، 2007م ، ص148 .

الإيديولوجية التي ميزت المجتمع في فترة التسعينات مثل صراع المثقف والجماعات الإرهابية، فالرواية بمثابة تأريخ للأحداث في فترة العشرية السوداء، تعود بنا إلى تجسيد الأزمات في العصور القديمة المملوءة بالفتن والخيانة والقتل وربطها بما حدث في الجزائر من قبل الاستقلال إلى أن يصل إلى ذروة الأزمة في التسعينات، حيث يكثر الكاتب من الرجوع إلى الماضي المليء بالفتن ليخلق للقارئ حقل دلالي يربطه مع الجزائر في أبشع الفتن والجرائم.

_تقدم روية الغيت (2007م) لمحمد ساري صورة عن فترة التسعينات، تبرز أهم الأوضاع السائدة آنذاك، أبرزت العنف الدمار والخراب الذي حل بالجزائر في مواقف حياتية متداخلة ومتناقضة ذات نسيج محكم، وميلها إلى المتخيل والعجائبية وخروجها عن المألوف. تحمل الرواية عدة عناوين فرعية مثل لحظة الإقلاع، لحظة المكاشفة، لحظة الانتظار، الشيخ أمبارك، نايلة، أعمر حلموش، ثرثرة، ليلى، المهدي. يحاول فيها الروائي تقديم صورة عن جزائر التسعينات التي تحمل سنين الدم، مبرزا أهم الأوضاع التي عايشها المجتمع الجزائري. وذلك في روايته القلاع المتآكلة التي يتناول فيها الرؤية السياسية بكثير من التحليل والتفصيل، ويبين من خلالها المأساة التي شهدتها الجزائر ويكشف عن كثير من الاقتتال والعنف يعرض فيها كثير من المواقف الشائكة التي تخص المجتمع الجزائري بشكل عام والسلطة بشكل خاص، كما تعرض الرؤى الإيديولوجية خلال هذه المرحلة خاصة بين السياسي والإسلاموي، لتقدم الرواية رؤية نقدية عن تلك المرحلة المضطربة من تاريخ الجزائر، فالقلاع المتآكلة تبين سبب تآكلها نتيجة الصراعات الدامية الناتجة عن الصراعات الإيديولوجية، فتتآكل أفكارنا تدريجيا من صراع في الأفكار إلى صراع على السلطة في ظل الاضطرابات الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية، لتوصل البلاد إلى حمام من الدم، كان ببداية أحداث 5أكتوبر 1988م، الذي فجرت أحداثا كبرى تعود إلى الاستعمار ولا تزل حتى يومنا هذا.

كان هذا التقسيم نظرا للمقولة التي ترى أن الكتابة الروائية تكون بعد نضج واتضاح الأمور وانتهائها، وما كتبه الروائيون خلال العشرية السوداء هو أدب فقير أوضعيف من حيث الفنية الجمالية فهذا خطأ وحكم مجحف، بحكم أن الأديب يكتب بكل حرية إذا أراد تصوير واقع مزري لا يحتمل، فالأدب تصوير عن الواقع، يقول عبد الحميد عبوس: <<هذه بدعة في التسمية، ليس هناك كتابة استعجالية في الأدب، فالأدب إما أن يكون وإما لا يكون، وإذا أردت كتابة استعجالية لأن الظرف استثنائي فهناك أنماط تعبيرية في الصحافة تتيح التعبير عن حدث معين وليدا للحظة، أما الأدب فلا يخضع للمزاج أو الاستعجال>>[1]، لكن الملاحظ عن رواية

[1] محمد شفيق مصباح ، نفس المرجع ، ص251

التسعينات أنها تعالج مرحلة معينة كما عالجت الرواية مرحلة الستينات والسبعينات، ويذهب بوجدرة إلى أن تسمية الاستعجالية ترويج وليس رؤية موضوعية.

3_ تيمات رواية الأزمة:

3_1_تيمة العنف: هيمنت أجواء الرعب والخوف على روايات الأزمة، نتيجة لوقعه الكبير في النفوس والعقول، فخيم على معظم الروايات التسعينية، لأن حياة الجزائريين خلال الأزمة أصبحت تحت رحمة أشخاص جردوا من إنسانيتهم لا يعرفون إلا القتل، سواء من النظام أو جماعات القتل، << إن هذه المشاهد قد تكون مادية حدثت فعلا لشخصية ما من لشخصيات فاعلة من شخصيات الرواية، وقد تكون معنوية تتخللها شخصية ما من شخصيات الرواية نتيجة إحساس مفرط بالرعب >>[1]، ليتمكن الخوف من السيطرة على الأجواء نتيجة العنف الذي لا يتوقف أبدا في بلد يعيش نهاره ليله لا يفرق بينها، يتشابهان في العنف والقتل والحرب التي لا تتوقف أبدا، فتصور روايات التسعينات مشاهد الذبح إلى جانب مشاهد الاغتيال والتعذيب التي عاشها الشعب الجزائري والتي لا يمكن نسيانها بسهولة << هذه الحرب التي لا اسم لها، حرب من الإخوة الأعداء، حرب المستغلين مع المستغلين، الأبرياء مع الشياطين، لكن من يفصل بين الخير والشر، بين الشيطان والبريء لا أحد>>[2]، صراع أخد الشعب منه بحظ وافر من المعاناة والألم، فالكل يفكر في مصالحه الخاصة على حساب مصالح الشعب الجزائري، وقد اختلفت الروايات الجزائرية في التسعينات بين الفرنسية والعربية في معالجة هذه الظاهرة، منها: دم الغزال لمرزاق بقطاش، متاهات ليل الفتنة لأحميدة العياشي، حارسة الظلال لواسيني الأعرج ... وكثير من الأعمال الروائية تتناول ظاهرة العنف الذي ولد من رحم المجتمع الجزائري الذي حمل كثيرا من المعاناة في نفسه أظهرها في أحداث أكتوبر 1988م أين أخرج جنونه وتحول إلى إرهابي يقوم بأعمال لا إنسانية ضد وطنه.

_تيمة المثقف: نال المثقف ما يكفي من المعاناة والألم خلال الأزمة، فتسلط لنا روايات الأزمة التقهقر والإقصاء والتهميش ومختلف الأوضاع السيئة والكئيبة التي عاشها المثقف، إذ عكست أبطال الروايات كاتب الرواية، فما كان له إلا إدانة هذا الواقع المرير الذي آل إليه حال الوطن، أن جعل مصير المثقف محكوم بالموت، لتنكسر جميع الطموحات والرغبات في الوصول إلى مراتب أعلى. وأبرزت روايات العشرية السوداء نوعين من المثقف ؛ مثقف سلبي ومثقف ايجابي.

[1] مليكة ضاوي: نفس الرجع ، ص 271
[2] بشير مفتي : المراسيم والجنائز ،منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1 ، 1998 ، ص 89

_المثقف السلبي: ويطلق عليه عند كثير من الباحثين اللامنتمي، وفي هذا الشأن يقول محمد عزام: << وأما المثقف السلبي واللامنتمي فيتشابهان في كونهما بلا قيم، وقد يكتفي اللامنتمي بالوقوف على الحياد، بينما يقع السلبي في مستنقع القذارة وينغمس في حياة الغاب، تقوده أنانيته إلى الفتك بالآخرين والصعود على جثث الأبرياء، وهو بطل العصر الصاعد من رحم الطبقات الفقيرة التي لا تملك غير بؤسها، والذي يرغب في الوصول السريع>>[1]، بهذا يحاول الوصول إلى غاياته مهما كلف الأمر غير مبال بأي شيء حوله، وهو ما حدث مع سياسيو الجزائر خلال العشرية السوداء وما بعدها، إلى أن جاءت ثورة 22 فيفري وكشفتهم على حقيقتهم، فيبتعد من مرتبة المثقف الحق في تأدية رسالته، ويتخلص من جميع القيم الإنسانية.

المثقف الإيجابي: وهو مغاير للمثقف السلبي تماما في جميع المواقف، فهو<< المثقف الفاعل المصلح المغير، وهذا الوضع هو الوضع الصحيح لأي إنسان قبل أن يكون مثقفا وواعيا لدوره في الحياة، وحقيقة من خسروا حياتهم، وكثيرا من أحلامهم وطموحاتهم أنهم كانوا مصلحين، والتركيز في العنف كان من صيب الصحفيين الملتزمين الذين ناضلوا من أجل إيصال الحقيقة، وهذا الأمر كلفهم أرواحهم في لأغلب الأحيان >>[2]، فهو الغيور على المجتمع والوطن، ساهرا على نشر الوعي والنهوض بأمته والتضحية في سبيلها .

تحدثت أغلب الروايات التسعينية عن شخصية المثقف كعضو فاعل في المجتمع وعن مصيره في ظل الأوضاع المتأزمة، ومن أهم الروائيين الذين عالجوا شخصية المثقف أحلام مستغانمي، واسيني الأعرج في أعماله التي تناول فيها أزمة التسعينات، الطاهر وطار خاصة في روايته تجربة العشق ... وغيرهم، فخلال الأزمة حاولت كل الأطراف إخماد صوت المثقف أو استمالته إليها أو تصفيته لأنه يمثل صوت ذو رؤية رافضة للباطل، عارفة للحق، لذلك بقي معلقا بين الضغط أو الاستسلام، بين تهميش السلطة أو تهديد الإرهاب.

3_3_تيمة الإرهاب: حول الإرهاب البلاد إلى مجزرة شنيعة ومأتم كبير تعيشه الجزائر، حيث تمكن من فرض نفسه على كل الأذهان، جعل الشعب يعاني مثلما عاناه أيام الثورة التحريري، فالعشرية السوداء أدخلت الجزائر في متاهة لا حدود لها مجسدة أبشع الجرائم في حق شعب لا يعرف ما ذنبه، وقد جسدت الرواية بعضا من هذا الواقع، اتخذت من موضوع الإرهاب، وأحداثه المخربة استلهاما لتجسيد الأحداث مثل رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار 1997م، رشيد بوجدرة في روايته تيميمون، ابراهيم سعدي فتوى في زمن الموت، الورم لمحمد ساري

[1] سعاد عبد الله العنزي : صورة العنف الساسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت ، ط1، 2010م ، ص 48
[2] نفس المرجع ، ص 55 .

...إلخ، تعددت الكتابات حول الأزمة محددة بوجهات نظر مختلفة، فالسلطة حفزت على ممارسة العنف من خلال زرع الفتنة بين الأحزاب، وإقصاء البعض والتهميش والسيطرة وإخضاع الغير، بالإضافة إلى الصراع بين التيار المعادي كالفيس مع السلطة، أوضحت وبيت كثير من الروايات كيف سيطرت الحركة الجهادية في الجزائر على الوضع في مرحلة معينة باستغلال كل ما يمكن جدبه من فقراء ومهمشين وبطالين، ... فالصراع إيديولوجي وثقافي أكثر منه حرب ميدانية ضد الوطن والمواطن، فالإيديولوجيا ندركها من خلال التدمير والخراب الذي حل بالوطن، فلو نظرت إلى قرية أو مدينة لرأيت مكتوب عليها أفكارها تستقبلك قبل الوصول إليها .

3_4_تيمة الغربة: تتجسد الغربة من خلال الهجرة من أجل البحث عن أوضاع ملائمة للعيش والابتعاد عن أهوال الحرب الطاحنة التي تجري على أرض الجزائر، ليجد في ذلك حلا لمشكلته وهي البقاء حيا، وليس المحيط الخارجي فقط خلق الغربة، حتى عوامل ذاتية كالانطواء والإنفراد، وعدم القدرة على الاندماج في المجتمع، الإحباط واليأس الذي يسيطر على النفوس ... لذلك نرى الشخصيات الروائية تغرق في الشرب كمسكن للآلام وهو نوع من الهروب من الواقع المعاش، ليجد نفسه خارج عن العادات والتقاليد والقيم، متمرد على الأوضاع السائدة ومن أهم الروايات التي عالجت هذه القضية: رواية المرفوضون لإبراهيم سعدي، بماذا تحلم الذئاب لياسمينة خضرا، القلاع المتآكلة لمحمد ساري، المراسيم والجنائز لبشير مفتي.

إن الشعور بالاغتراب مارس ضغطا رهيبا على الشخصيات المغتربة، فلا يوجد عنف أشد أن تجبر على مغادرة الوطن وأنت لا تملك في العيش اختيار إلى أجل غير معلوم، لتتمزق الذات داخل عذابها.

3_5_تيمة الموت: يهيمن الموت على النص التسعيني، فلا نقف إلا على رائحة الدم الكريهة وجثث الموت النتنة والدمار والفوضى والخوف، عندما توضع في مرمى النار فلا مجال للهروب أو المراوغة، لأن الموت قد أدركك، ليسيطر كابوس الموت على عقول الشعب الجزائري خاصة عندما ترى الجثث في كل مكان؛ أجساد مقطعة، رؤوس مرمية، انتحارات متكررة، ليبقى هذا الكابوس يطارد الجميع ويتعقب الطرائد، لتصور لنا الرواية التسعينية هول الأزمة، حتى أن القارئ يدرك في كثير من الروايات أن فكرة الرواية هي الموت الحتمي، لأن الروايات محملة بكثير من المعاني والعبارات الدالة على الموت كأنها حرب الموت من أجل الموت، كل شيء خلال الأزمة يولد الموت، ومن أهم الروايات التي تناولت تيمة الموت: وادي الظلام لعبد الملك مرتاض، عواصف جزيرة الطيور لإبراهيم سعدي، فتوى زمن الموت، بوح رجل قادم من الظلمة لياسمينة صالح، سرادق الحلم والفجيعة لعزالدين جلاوجي، المراسيم والجنائز لبشير مفتي ...

3_6_تيمة الحب: الحب كعاطفة إنسانية نبيلة وشريفة تنتمي إلى الأمن والصفاء النفسي، تطرقت إليها رواية الأزمة كموضوع إلى جانب الحرب، لتجمع الرواية التسعينية بين القتل والذبح والخراب والتدمير مع أسمى المشاعر الإنسانية، لينتهي الحب نهاية مأساوية، إذ عادة لا يكتمل فهو موضوع الحاضر المغيب ليستحيل وينعدم في زمن يستعمل فيه كل شيء ويباح فيه كل شيء إلا هو.

حفلت رواية الأزمة بكثير من لحظات الحب كمخرج لهروب الذات من آلامها وهمومها وأحزانها، لتجد في هذه اللحظات العابرة لحظة للتنفيس عن معاناتها، ففي رواية المراسيم والجنائز تجلت فيها تيمة الحب إلى جانب الموت والقتل فتخلق جوا كئيبا، ليعاني الحب التهميش والإقصاء على غرار رواية سيدة المقام التي تحكي قصة حب عنيفة بين الراوي مريم التي أصيبت برصاصة مباشرة جعلتها في عداد الموتى، لتكون قصة حب قصيرة، لأن كل شيء يعمل ضد الإنسانية ويقضي على أفضل الأحاسيس والمشاعر في زمن لا يعرف الرحمة، ورغم ذلك عبر عنها الروائيون خلال الأزمة بكل حرية وعفوية وذلك ما يثبت صدقها، إلا أنها كانت رهان فاشل في جميع الأحوال.

4_تجليات الإيديولوجيا في رواية الأزمة:

تبرز روايات العشرية السوداء الأزمة من خلال الواقع المعاش سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وكشف الدمار والخراب والقتل والموت الذي حل بالوطن << وكذا الكشف عن العنف الإيديولوجي الذي رافق فترة الأزمة، وسلبيات الإيديولوجيات السائدة التي تجتهد كل منها لتبرئة نفسها، ومحاولة السلطة استئصال الإسلامويين وقطع دابرهم، في حين يعمل الإسلاميون على تكفير النظام وإلصاق تهم فساد النظام بهم، ويطلقون أحكامهم وعقوباتهم التي لم يسلم منها أحد >>[1]، فكلا الاتجاهين يحاول كل منهما تبرير موقفه من أجل فرض أفكاره ليجسد سيطرته تحت غطاء المصلحة العامة، لكنه في الحقيقة يقدم المصلحة الخاصة والفردية، كما حدث بعد الأزمة في حكم بوتفليقة، وإقصاء الكثير من الأحزاب المعارضة وبقى إلا من يرى أن الحزب الحاكم على حق.

تبرز إيديولوجيا الإسلاميين في رواية الأزمة بأنها تركز على الجانب الديني أكثر منه سياسيا وقد وجدوا بذلك ترحيبا واسعا وآذانا صاغية وعقولا متقبلة لما يقولونه خاصة من طرف الفقراء والبطالين والمهمشين، انحياز كثير من الدعاة الإسلاميين إلى تطبيق الدين الإسلامي، فيرون أنه لا حكم إلا لله.

[1] غنية بوحرة : المثقف والصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية متاهات ليل الفتنة لأحميدة عياشي أنموذجا ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2011_ 2012م ، ص 51

تبرز الأفكار في رواية الأزمة الجماعات المسيطرة التي تحاول فرض نفسها وأفكارها على الآخر، وبالتالي تستطيع التحكم في قيادة الوضع من خلال جماعات كثيرة داخل صفوفها، لأنها تمكنت من فرض تصوراتها وأقنعت فئات كثيرة بضرورة تبني أفكارها، وبالتالي يصبحون يدافعون عنهم بداعي الدين، إذ يبرزون رغباتهم في إقامة دولة إسلامية مبنية على أسس إسلامية متينة، فتبرز الرواية التسعينية ذلك كقناع تخفي من أجل تحقيق مآرب شخصية والوصول إلى السلطة على حساب هذه الفئات << فتعمل هذه الإيديولوجيا بتعمية وتعتيم عقول الفئات المستضعفة المقهورة والمغلوبة على أمرها، فلا يكون لهذه الفئة إلا أن تخضع وتؤمن بهذه الأفكار وتتبناها دون وعي منها، وهذا ما أطلق عليه كارل ماركس الوعي الزائف >>[1]، فتصور الرواية الجزائرية الإيديولوجيا المتصارعة بأنها إيديولوجيا براغماتية نفعية، تستخدم الأحداث الدموية من قتل ودمار وخراب واغتصاب ... كأسباب لتحقيق غايات أسمى، فالمخطئ يستوجب العقاب والقتل من أجل تحقيق العدل والمساواة التي كان يفتقد إليها الشعب الجزائري أنداك، وذلك لا يأتي إلا بقيام دولة إسلامية تختفي فيها كل مظاهر الاستبداد والظلم، ويكون الناس سواسية في الحقوق والواجبات.

تبرز كثير من الروايات كيف يحفز الشباب على القتال، وكيف وصلوا إلى هذه المرحلة بالذات من خلال الواقع المرير وسيطرة كثير من الأفكار على أذهانهم يغرمون بها فتسحر عقولهم وتسيطر عليها وتقودهم إلى أفعالهم، ليجدوا أنفسهم مقتنعين بالجهاد والتضحية في سبيل الله، مثل رواية سيدة المقام، أخذت مريم بطلة الرواية تتساءل عن المعنيين بالقتل والتصفية الجسدية،وتبرزها الرواية بطريقة مباشرة << تقتلون من؟ قالت أعداء الله. وشكون أعداء الله، قالت الشيوعيون حزب فرنسا، البربر البعثيون الملحدون، العقلانيون، اللائكيون، وأصحاب دعوات تحرير المرأة من نساء جمعيات النسوية، جمعيات العهر والفسوق والحكام والرعية ومسؤولو أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية ... وكل من يحذوا حذوهم>>[2]، ليستقصي التيار الإسلامي الآخر بشكل مباشر، ويحاول إعدامه مباشرة، فالكل يبرز في الرواية ملحد وشيوعي وعلماني، فهذا الاتجاه الإيديولوجي طغى كثيرا، ليبرز سلوكات مشينة جدا ومواقف مخزية لا تطاق ولا تمت بصلة للتيار الإسلامي. النظام يروج لأيديولوجية كاذبة جاحدة ضد الاتجاه الإسلامي من أجل التمسك بالسلطة فقط ولا يهمها ما يحدث على أرض الواقع، المهم القضاء على الإرهاب من جذوره، وفي الحقيقة السلطة هي الإرهاب، << السلطة الطاغية في الترويج لأكاذيبها

[1] نفس المرجع السابق ، ص 52
[2] واسيني الأعرج : سيدة المقام ، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، ط2 ، 1997م ، ص231 .

الملفقة ضد الجماعات الإسلامية، وحسب فتوى حديثة العهد من أمير الجهاد، أجاز الإسلام قتل كل الذين يشتغلون في مؤسسات السلطة، كما يجوز شرعا حرق وتدمير وإتلاف هذه المؤسسات العمومية لإضعاف السلطة تمهيدا لإقامة الدولة الإسلامية >>[1]لتبرز نظرة خاطئة اتجاه الإسلام بتأثير من الدول الغربية الكبرى في دعم الفتنة وتأجيج الصراع من أجل نهب ثروات البلد، كما تشير أحلام مستغانمي بأنهم يتسارعون إلى نقل الأخبار في صحفهم ومجلاتهم وعرضها على القنوات من أجل إشفاء غليلهم.

تميل الإيديولوجيتين إلى استخدام كل الوسائل المتاحة من أجل إقناع الآخرين، وبالتالي زيادة نفوذها وتغلغلها داخل المجتمع وإقامة الحد على المعارضين، فتصور رواية الأزمة أبطالها دائما يتجنبون الخوض في المسائل السياسية والدينية ورفض الإفصاح عن انتمائه وحقيقة مواقفه، تجنبا لأي ملاحقة محتملة، لأنه لا يملك مكانا يلجأ إليه .

تظهر رواية الأزمة صراع إيديولوجي بين الدرك الوطني كأحد وسائل السلطة وأعضاء الحزب الإسلامي المعارضين، حين طالبوا باستبدال شعار البلدية (من الشعب وإلى الشعب) بشعار آخر هو (البلدية الإسلامية)، وهذا الصراع بين هذين الإيديولوجيتين على أساس أن من الشعب وإلى الشعب من أساسيات المرحلة الاشتراكية الملحدة، وهو ليس من هوية الإسلام ولا الشعب الجزائري، كما برزت المطالبة بتغيير الألوان من الأحمر إلى الأخضر، فالأحمر من ألوان الاشتراكية أما الأخضر فهو من ألوان رايات الإسلام قديما.

استطاع محمد ساري في رواياته أن يبرز الصراع الإيديولوجي من كل جوانبه بين الاتجاهين السياسي السلطوي والإسلامي، أما الطاهر وطار فيبقى مشدودا إلى التيار الماركسي الذي تبناه في مشواره الروائي منذ روايته اللاز، إذ يتأثر كثيرا بالفكر الماركسي، لذا نراه رافضا للإيديولوجية الإسلامية، لذلك<< حمل شخصياته محمولات أيديولوجية ودينية أثرت في المسار العام للروايات، وجعلها تسير في اتجاه واحد هو الاتجاه الذي ارتضاه لها الروائي وينتابك شعور قوي وأنتقرأ الروايات أنها موجهة بشكل واضح وفاضح ومحملة برسالة معينة، ولذلك ففي كل مطلع هناك الظلال الأيديولوجية مرة والرؤى الخاصة به مبثوثة في كل أجزاء الروايات >>[2]، لتحتقر الرواية التسعينية الإيديولوجيتين السياسية والإسلاموية، مع أن الكثير من الروايات كانت تميل إلى الإسلاموية نتيجة الظروف التي كان يعيشها المواطن أنداك، كما أن الشعب الجزائري كان في حاجة إلى تغيير الواقع السياسي

[1] محمد ساري : الورم ، منشورات الاختلاف، ط1، 1998م، ص 147
[2] محمد الصالح خرفي : الدين والإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة ، الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينات ، ملتقى سعيدة الخامس ص 122.

والاجتماعي في ذلك الوقت العصيب لكن ظروف الحرب لم تسمح بذلك، وهي جذور بقت متأصلة في ذهن الجزائري إلى غاية إسقاط الرئيس بوتفليقة، ومطالبة برحيل النظام ككل لأن الشعب استجمع قواه وتناسى بعض من جراح الأزمة.

إن روايات الأزمة كانت متطابقة مع ما يحدث خلال الأزمة المملوءة بالصراعات والتناقضات، فكانت تنتقد التوجهات الإيديولوجية، فتكشف عن سلبيات إيديولوجية النظام وإيديولوجيات أخرى، لتجسد لنا الرواية مسرح الصراع الإيديولوجي للأزمة من خلال التأريخ لهذا الصراع، واستطاعت رواية الأزمة فضح الفساد السائد والإيديولوجي المتطرف بشكل مباشر.

إن المهتم بدراسة روايات أزمة العشرية السوداء في الجزائر يلاحظ خيبة التلقي في الوسط الجزائري المحكوم بالحديد والنار، جعلها تختل على مستوى اللغة، بالإضافة إلى انغماسها في الايديولوجيا التي نلمسها بالقوة نفسها التي لها في الواقع المعاش، كونها محكومة ومحاصرة من جوانب عدة، لكنها تتحول إلى وسيلة لصياغة عالم الكاتب الخاص الذي يعيش معظم لحظاته عذابا وألم ودم وهموم نتيجة حرب طاحنة بين طرفين، كلاهما يرغب بشدة في السيطرة والوصول إلى الحكم مهما كانت الأسباب غير مكترث للنتائج المتوصل إليها، لتشهد الجزائر بؤرة سوداء تجرها في تاريخها إلى دوامة عميقة من اللاإنسانية تقع على كتف المجتمع الجزائري ليعيش سنوات ضياع مع ظالم ومستبد، كلاهما يحمل طابع إجرامي فتاك لا يعرف كيف يتعامل معه.

الفصل الثاني: الحب والحرب خلال الأزمة

_تمهيد

1_ مظاهر الحب
والحرب خلال مرحلة الأزمة

2_ عوائق الحب

3_ تعارض الحب
مع الواجب والصراع الداخلي

_خلاصة

تمهيد:

خلال الأزمات يتعانق الحب مع رائحة الدم والقتل والتشريد، إذ تصبح الحرب واقعا يجب التأقلم معه أو الذهاب إلى الجحيم، لينقلب هم الحياة إلى غايات أكثر سموا وانضباطا واحتراما، وعلاقات أكثر تماسكا في شكل حب ساحر يغزو القلوب، ويجتاح الأرواح والظروف والأوضاع والدمار، تجسده الأعمال البشرية في صور يقل نظيرها في السلم والرخاء، رغم ما يحيط بها من واجبات تثقل كاهل المرء وصراعات داخلية وخارجية تصيب الأشخاص بالإحباط.

عصفت الأزمة بالجزائر كصقور محلقة هبت من أوكارها كي تقف على صورة من حياتها المروعة تشبه امرأة مذنبة تم اغتصابها، تحمل إثم ماضيها، تقف على جانب الطريق، ولا تجد من يعانقها أو يحميها، فتحت غطاء الحرب لا نرى إلا الأماكن تجهش بالبكاء من أجل مداواة الجراح الدامية، وصلوات الزهاد والنساك التي تكن لها الحب في كل تراب الوطن.

جسدت رواية حطب سراييفو جانبا من الصراع أثناء الأزمة من خلال الحب والحرب، وكيف يمتزج الخوف والألم مع العواطف لتبرز أسمى المشاعر التي تعرفها الإنسانية لتساهم في تغذية الروح البشرية من أجل استمرار الحياة، إذ جسدت لنا الكثير من المظاهر التي عرفتها الجزائر خلال الأزمة، عاشها شعب طامح للحرية باحثا عن ملاذ آمن.

1_مظاهر الحب والحرب خلال مرحلة الأزمة:

يفتتح سعيد خطيبي روايته حطب سراييفو بنظرة عدمية اتجاه تعايشه مع الحب والحرب، فأثناء الحروب تغلب الغرائز البدائية والهمجية وتنتكس البشرية إلى الغرائز البدائية على حساب غرائز الحياة، إذ يصور حياة بطل الرواية << عشت كما يعيش أي نكرة، أنام وأعمل وآكل وأشرب وأختلي بين الفينة والأخرى بمليكة، أزحف مثل هر ممسوس على جسدها النحيف وأتحمل نزقها وخوفها وضحكاتها >>[1]، قبل أن يبتاغه عرض عمه سي أحمد بدعوة زيارته في سلوفينيا، ليفر من بقعة الحرب وأنباء الموت، فيترك وراءه حرب طاحنة تشمئز منها القلوب تأتي على اليابس والأخضر، وحب غير واضح المعالم وحبيبة غير واضحة يستأنس إليها كمراهق ليسد فراغه العاطفي، يقول سليم:<< حصل كثيرا أن اختلفت مع مليكة مثل مراهقين أرعنين وافترقنا لأيام ثم سرعان ما نعود لبعضنا بعضا>>[2] فاجتماع سليم مع مليكة خلق حبا وما هو إلا رغبة في استمراره كونهما معا أدى إلى ابتلاع أحد أطرافه.

أما الشخصية الرئيسية الثانية في الرواية هي إيفانا التي نجت من حرب تذهب بعقول بعقول الناس، تقول:<< نجوت من الموت وخرجت من حبس ظننت أنني سأمكث فيه سنوات طوال، أزهقت روحا والتحقت بالقتلة، وتخيلت أني لن أقف على رجلي من جديد شعرت أن عمري يتبخر ولن أحقق حلمي الذي حملته معي وفي غربتي كما تحمل أم رؤوم جنينها الأول، تصورت أن الحرب التي مزقت وجه سراييفو ستجرفني معها وتحولني إلى خرقة بالية لا نفع منها، بزغت صورة شقيقتي الصغرى في دهني وخفت أن يختل عقلي وأجن مثلها>>[3]

تبدأ سردها بخوفها من حمل يدخلها عالم الأمومة ويعطل مشروعها في إتمام مسرحية تنمو في دهنها، والتي جعلتها حلما لها لتعوض خسارة الحرب التي عصفت بسنوات دراستها في أكاديمية الفنون، لكنها وجدت نفسها مطوقة بأشبه ما يكون ببيت أشباح مع أم صموت بالكاد تتكلم، لا تحمل إلا مرارة الأشياء تزيد في حلاوتها، وأخت ذهبت الحرب بعقلها، وأب يماس طقوس جد تعنيفية على زوجته رغم حبها له وتعلقها به، فيثير المشهد

[1] الرواية، ص09
[2] الرواية ، ص14
[3] الرواية، ص 20

الكثير من العواطف، ليواصل الحب البنيوي المفتت داخل الأسرة طريقه إلى نهاية الأب مقتولا كونه متواطئ في الحرب.

تدمر الحرب كل ما له قيمة بالإنسانية لتتداعى الأسقف التي تظلل الأرواح وتحميها، ويضيع أغلى ما نلك أمام أعيننا، يقول سليم:<<أحسد والدي على ذاكرته المعطوبة ، هو لا يعلم أن الحرب صارت سرطانا يبتلع الأرواح مثلما ابتلع روح أمي >>[1]، تدمر كل ما له علاقة بالبشرية تضني الأجساد، وتقطف الأرواح، ولا يبقى منها إلا الذكريات المؤلمة التي لا رغبة في تذكرها، لكنها تفرض نفسها على عقل المتألم لتزيده مرارة الألم، فما علي المرء إلا تخريب ذاكرته كما فعل بطل الرواية، << لكن ذاكرتي ثقبت، مع مرور الزمن صرت أنسى أحيانا محفظة وثائقي أو اسم زميل لي في العمل، مع ذلك لم أنس سنوات رحيل كتاب أو مثقفين أو فنانين أو أصدقاء أو زملاء أحببتهم: مولود معمري1989، جيلالي اليابس والطاهر جاووت1993، عبد القادر علولة والشاب حسني، 1994 رشيد ميموني بختي بن عودة رابح بالعمري، 1995 الشاعر عزيز1996 ومصطفى بالغربي رحل في العام ذاته>>[2]. وأحداث دموية كثيرة قادتنا إليها أحداث أكتوبر1988م وبداية الاحتجاجات والاضطرابات، وتعنت السلطة والتزوير في ظل الواقع الاجتماعي بكل تناقضاته ومفارقاته، خلق أزمة مصيرية في حياة شعب كأنها سخرية في غير محلها من قلاع متآكلة مر عليها الزمن وولى.

يستمتع بطل الرواية مع حبيبته مليكة في مختلف النشاطات الاجتماعية المختلفة والمشتركة، وهي تجسد أكثر مظاهر الحب في الرواية؛ << صرنا نتحادث في الهاتف، أو نجلس ونثرثر في مقهى، أو مطعم شعبي بشارع طنجة، أو في نهج العربي بن مهيدي وأعلمتني أن مسعود أراد مواعدتها وحين رفضت حقد عليها، وأنها شعرت بمغناطيس يجذبها إلي رغم أنها لا تفتح قلبها لأي رجل بسهولة، حاولت أتفاداك لكنني لم أقدر، صارحتني>>[3] بغض النظر عن فارق السن بينها الذي لا يقف حائلا في طريق الحب. يشعر سليم بالرضى عم محبوبته مليكة يقدر مهاراتها يستأنس إليها يلقى الدعم منها كما في المشهد التالي:

[1] الرواية ، ص20
[2] الرواية ، ص11
[3] الرواية، ص 15

<< صرت عاطلا.

أخبرت مليكة

-أوظفك عندي كحارس شخصي وأدفع لك راتبا كل شهر

ردت علي ساخرة

سخريتها بدت لي في غير محلها، أنا في حيص وبيص، وهي تقهقه مثل صبية مطمئنة، لكن قصدها كان بريئا كانت تنكث لتغير مزاجي وتلهيني عن قلقي وتوتري لا أكثر>>[1] هذه العلاقة تسمح لسليم بتخطي جميع العلاقات العاطفية السابقة، لكنها ستفشل كسابقاتها، فكثير من الفتيات اللاتي هجرنه << صبرينة التي رحلت مع أهلها إلى بجاية، وانقطعت علاقتي بها ليندة التي ملت من وجهي الأمرد كما صارحتني، و ارتبطت برجل يكبرها بسبع سنوات، وحكيمة التي استعجلتني لأطلب يدها من والدها ثم هجرتني أن وجدت رجلا آخر يحقق لها مرادها>>[2] لتبرز لنا الرواية مشاعر أكثر تعقيدا من احترام وإعجاب... وغالبا ما يتم إخفاؤها ضمنيا، لكنه يعبر عنها بتقديم الهدايا:باقة ورود، ساعة...

يهاجر سليم إلى سلوفينيا في زيارة عائلية بعيدا عن الحرب، لكنه يجد نفسه يعاني فوضى عاطفية غير مستقرة، يسترق النظر كصبي يتعقب طريدة، يغازل النساء، ينتقل من مكان لآخر، يخرج للشارع يترقب كصياد يبحث عن غايته، يقول: <<خاطبتني نادلة ثلاثينية بإنجليزية هجينة، حاولت مغازلتها في مطعم تركي صغير>>[3] لكنها رفضت، فيضطر إلى الخروج والتسكع وحيدا في شوارع ليوبليانا، ونراه يتقرب من إيفانا و يتودد إليها؛<< بدا لي سؤالا غبيا طرحته عليها لأفتتح دردشة معها >>[4] سؤال غبي لأنه فاقد التركيز، وعقله لا يسيطر على عواطفه، ليبقى يتودد ويتقرب إليها إلى أن يقع بينها ما يشبه الحب، لكن حبه لمليكة يمنعه من الاكتمال، كما نراه يحوم حول لوريانا << لم أعرف كيف أستدرجها في الكلام، هل أقول لها أنت جميلة وأود أن نرقص معا، أو ما رأيك أن نبحث عن حانة مفتوحة في هذه الساعة المتأخرة، نجلس ونتحدث بهدوء، خفت أن تصفعني برد

[1] الرواية ، ص 62
[2] الرواية ، ص 128
[3] الرواية ، ص 97
[4] الرواية، ص 116

مفحم>>[1]، مشاعر الحب والانفعالات المصاحبة له ما هي إلا قناعا تجميليا لحقيقة الحرب التي يعيشها البطل ومحاولة التحرر منها من أجل البقاء ودحر الموت، من أجل أن تستمر الحياة، إنها حرب تلوح في الأفق، تجعل الولدان شيبا، تأتي على اليابس والأخضر، أثرت على الجزائر سلبا في كل المجالات ولم تكتفي بتدمير البنية التحتية والفوقية، بل إلى سرق أرواح الأبرياء حتى رأينا بطل الرواية يصاب بفوبيا الحشود خوفا من أي انفجار في أي لحظة، يقول عند زيارته لوالده إبراهيم المكنى عمار: << جئت للاطمئنان عليه، لأحكي له عما شاهدته في قرية سيدي لبقع، جئت أحمل الأخبار لبابا عمار عن وديان الدم التي سفحت في ليلة رمضانية واحدة، وعن مشقة الكتابة عن تراجيديا نتقاسمها بعدل ومساواة>>[2]، شيء عجيب أنه لم يستطع أن يكتبها لهولها وشدتها وبشاعتها تشمئز النفوس حتى من تذكرها، ليجسد لنا واحد من أبشع الجرائم لم نجد لها تسمية إلا العشرية السوداء، أو سنوات الجمر... تعود بنا إلى رحلة البدايات وقتال قابيل وهابيل، وسرد تاريخ الدم، لا أدري لعقول كيف تم إقناعها بقتل المرء أخاه وهو يعلم أن أول كتاب يفتح يوم القيامة هو كتاب الدم، لكنهم بشر سرقت منهم عقولهم منهم منذ طفولتهم ، فمرارة الأشياء تزيد في مرارتها، وليس بعيدا عن ذلك في البوسنة التي شهدت واحدة من أعتى الحروب دامت لمدة ثلاث سنوات، بدأت من أفريل 1992م إلى نوفمبر 1995م لتشهد بذلك البوسنة والهرسك أبشع جريمة بعد الحرب العالمية الثانية ليدمر طموح البوسنيين كما تقول إيفانا: <<يوم أعلنوا قيام البوسنة والهرسك، كنا في منتصف العشرينات من العمر صدقنا أنه سيصير لنا بلد متقدم [...] ولم نفكر فيما ينتظرنا من حرب ومآتم>>[3]، إذ أصبح مسلمي البوسنة والهرسك إلا جماعات يحركها الخوف والحذر للحفاظ عل حياتهم التي أصبحت تحت وطأة أشخاص جردوا من إنسانيتهم هدفهم القتل والاغتصاب والتدمير، <<هل كتب على البوسنيين أن يعيشوا تحت رحمة الآخرين؟ مجرد وجودهم في التاريخ جعل منهم ضحايا، لقد امتطى ظهورنا الجميع مصوا دماءنا وتركونا وحيدين، وحين لم نجد من يغزونا رحنا نقتل بعضنا بعضا>>[4] ليسقط شعب البوسنة في فظاعة القتل الحرب وتسقط جميع آماله وتتهاوى ويحترق بأيدي مجرمين يستمتعون بالقتل كما يستمتع مدمن التدخين بسيجارته، تقول إيفانا : << لقد نحفت وصار عنقي دقيقا بارزا، ورأسي لم يتخلص من ضجيج الحرب، كل صوت عنيف يفزعني، وأعتقد أن مكروها يقترب مني حين أسمع مفرقعات في مكان قريب،

[1] الرواية ، ص 147
[2] الرواية ، ص 30
[3] الرواية ، ص 74
[4] الرواية ، ص 133

أتخيلأنها قذائف، وأن واحدا منها تسقط أمامي وتحولني إلى أشلاء، عندما أمشي وحيدة في شارع عريض أسرع الخطى متخيلة أن قناصا يختبئ في زاوية بعيدة يتربص من شق جدار أو من نافذة، ويتهيأ لإطلاق آخر رصاصةمن بندقية تخترق صدري، ويكسب مكافأة من قائده العسكري المباشر>>[1] يجسد لنا هذا المشهد أن الأرواح صارت رخيصة لا تساوي شيئا إلا الغبار والأشلاء والدم، فالمحظوظ من خرج من هذه الحرب حيا، حرب أضحت نشاطا يوميا وواقعا معاشا يجب التأقلم معه لتسمو الأزمة بالألم إلى أقصى درجة من اللاإنسانية.

تنجرف إيفانا إلى الحب كسند نفسي وروحي لتضمد جراحها وخراب وطنها، ويعيد لها طاقتها مجددا لكتابة مسرحية تنمو في خيالها لتعوض لها ماضيها الأليم، تتعلق بغوران منذ دراستها في المتوسط، لكنه يخذلها إذ وثقت به أثناء تلفظه لكلماته المعسولة، تقول: صدقته وأقنعت نفسي بكلامه، لم أتوقف عن التفكير فيك طوال هذه السنوات، أضاف . وأخذ يتقرب إلي بكلمات مصالحة لينسيني ذلك المشهد المقزز الذي رأيته فيه، وينفخ العاطفة التي كادت تخبو بيننا. ليستحضر ذكريات جمعتنا ويحكي لي عن شقائه منذ مغادرته المنفى >>[2] أحبته من أعماق عواطفها المجروحة الغارقة في الخوف والدم، لكنه كذب عليها واستغلها، فهو مجرد لص سرق عائلته وطرد من فرانكفورت، متورط في وشاية في بلاده لينتهي به المطاف في السجن.

في ليوبليانا يلتقي سليم مع إيفانا في مقهى العم سي أحمد، وهنا يستدرجها سليم إلى الأدب، وتستدرجه إلى الموسيقى والمسرح، إذ حاولت تجريب حظها معه هناك، لكنها بوادر حب لم يسمح لها الوقت والظرف أن تنضج؛ فسليم يعتقد أنه محط حب امرأة أخرى، ثم يرجع إلى الجزائر باحثا عن أصله وجذوره، أما إيفانا تعود إلى بلدها مهزومة لتطارد حياتها السابقة وتكمل مسرحيتها.

تعرض الرواية مظهر عنيفا من مظاهر الحب والحرب من خلال هيروشيما حبي المأخوذة من رواية لمارجريت دوراس التي لن تجد دواء للحب والحرب غير النسيان؛ تبين الدمار والخراب وتعرض الوجوهوالنباتات للتشوه نتيجة إلقاء القنبلة الذرية سنة 1945موما خلفته من آثار إلى يومنا هذا، فالحرب معطى ثابت في وجود هذه الحياة منذ وجود الإنسان على سطح الأرض لم يجد لها دواء، فالفقد المتكرر والموت هي أكثر اللحظات إيلاما التي مرت في تاريخ البشرية، لدى أخترع دواء مرا للروح لتفادي آلام الحب والحرب هو النسيان، لا يمحي الألم ، لكنه

[1] الرواية ، ص 143
[2] الرواية، ص 169

الدواء الوحيد والنسبيللشفاء، لترتبط مع أحداث مؤلمة التمسها سليم وإيفانا في حياتهما، من مشاهد العلاقات الحميمة التي عاشاها ثم تنقلب عليهما الأحداث، جعلهما يستدعيان تاريخ الذاكرة وإسقاطه عليهما رغم انتمائهما إلى مكانين مختلفين (إفريقيا وأوربا) وتعلق كل منها بشخص من منطقته.

تعود بنا الأزمة الجزائرية أو العشرية السوداء إلى الطوفان، الذي قضى على مظاهر الحياة في غابر الأزمان السحيقة، وقد تجسد في كثير من الديانات والأساطير، وإن تعددت أشكاله ومظاهره، إلا أنها تشترك في شيء واحد هو الدمار والخراب والألم، وكان أكثرها إبادة على وجه الأرض طوفان نوح عليه السلام، وقد تجسد في الرواية من خلال << حطب سراييفو الناجون من الطوفان في الجزائر والبلقان >>[1] لتشترك الأزمة الجزائرية مع الطوفان في الخراب والدمار الذي لحق بالبلد ودمر كل شيء في طريقه مثل: حادثة بن طلحة سنة 1998م، التي لم ينجو منها أحد، وأعدمت عن بكرة أبيها، وليست بعيدة عنها مجزرة سربينيتشا سنة 1995م التي راح ضحيتها أكثر من 8000 شخص بالإضافة إلى آلاف المصابين والمغتصبين.

[1] الرواية ، ص 321

2_عوائق الحب:

قصص الحب رغم صدقها إلا أنها تموت مخنوقة بدخان ظروف الحرب، حب وسط الموت لن يكتمل وينقطع لتستمر الحياة.

تعبر الشخصيات في الرواية عن عواطفها بطريقة واضحة ومباشرة وأفعال متوقعة، لقاءات، مواعدات، لمس، نظرات ... ومع ذلك ثمة الكثير من الهموم تحيط بها من خلال المكان الذي تعيش فيه .

يعاني سليم من الحاجة الهائلة إلى الوحدة العاطفية، أذ تغله عاطفته إلى محبوبته، كما في المشهد التالي: <<تصورت أنها ما إن تراني حتى تقفز إلى عنقي، تضمني إليها، تفرح وتهمس في أدني توحشتك أحضنها بدوري بما أتيت من قوة وشوق لها وأدنو منها: ملوكتي كما تعودت أن أدلعها، وقد تعاتبني قليلا، لأني لم أخبرها عن موعد رجوعي>>[1]، على الرغم من ويلات الحرب والألم والمعاناة والمحن كانت عواطف أكثر صدقا وترابطا، فكان سليم يظن نفسه أنه محط حب مليكة، وهي ميزة في الرواية ضحى في سبيلها بكل من أحبهم خاصة عندما أخبرته رأسها ورأسه في شاشية واحدة، لكنها أحبت رجلا أخر وتزوجته، فهي لم تكن إلا تسرق لحظات متعة صغيرة كي تنسى ماضيها كما أنها تعاني من العشق الذي يعد حالة مرضية كما أشارت عالمة النفس الأمريكية دوروثي تينوف 1979م، ليقف كل ذلك عائقا في سبيل حبهما، يقول سليم: << لو علمت بخيانتها لي وأنا في ليوبليانا لاقتربت من إيفانا وصارحتها، كلما نظرت إليك شعرت برجفة في قلبي، قد لا يقنعها كلامي للوهلة الأولى لكنني كنت مستعدا لملاحقتها والظفر بحبها لي، لقد انتهى كل شيء وصرت وحيدا>>[2] ليسيطر التقمص العاطفي على معظم لحظات الحب في الرواية، إذ تؤدي الفجيعة إلى تأجيج الهوى نتيجة خيبة الأمل، فإيفانا تحب غوران لكن ظروف الحرب والقهر تدفعها إلى الهجرة، ومع توالي الأحداث تكتشف أنه لص كذاب وجبان خان عائلته ينتهي به المطاف في السجن، تقول: << هو نسخة عن أبي كذاب وجبان، أمها لم تعلم بزيارتها إليه، فقد تبرأت منه، ولا يهمها مصيره (...) أنا أمقته الآن، ولا يفيده أن أصفع عنه أم لا >>[3] ليبقى في

[1] الرواية ،ص 272
[2] الرواية ، ص 276
[3] الرواية ، ص 300

السجن يشكل رفقة ولا يخرج من هناك إلا كهلا أو عجوزا، فتضطر إيفانا لمواصلة حياتها البائسة وحيدة، لكنها لا تبقى تحت الصدمة بل تضطر للعودة لأسرتها لتغطية فراغها العاطفي وإيجاد ملاذ آمن لها.

ينفجر سليم من أجل إصلاح علاقة وهمية سيطرت على عقله، فيركز على الوجود نتيجة رحيل محبوبته مع رجل آخر، فيسطر عليه التوتر والقنوط محاولا التخلص من كل شيء يجده في مخيلته نتيجة تأزم عواطفه وإحساسه بالفقد، يقول:<< وأنا أكبح رغبتي في ولوج البيت وتحطيم كل ما فيه من أثاث، حتى أغلقت الباب وبقيت وحدي معلقا كشاة تنتظر جزارا (...) ورميت باقة الورد في مزبلة أسفل العمارة عائدا إلى شقتي المحفزة على القنوط(...) نظرت إلى الساعة الحائطية والمتوقفة وأرجأت كسرها >>[1] وهذا ما جعله يركز على الوجود نتيجة الرحيل، فالمرفوض يتوق للتوحد من جديد ليظل أسيرا لإشارة واحدة هي الرجاء والأمل، فكان عليه من المفروض البحث عن محبوبة أخرى، تقول عالمة الأنثروبولوجيا هيلين فيشر:<< تلعب الحرب دورا هاما في خلق علاقات مضطربة بين شخصيات الرواية فما تجلبه الحرب معها من ويلات لم يدع مكانا للعاطفة أن تنمو وتتطور، يحاول العشاق المرفوضون بجنون استعادة أحبتهم، وما إن تحل مرحلة ترويض النفس يكتفون تماما عن المحاولة ويسقطون في القنوط >>[2]، وهو ما يجعل من العاطفة رهان فاشل في الأزمات، لأن عاطفة الحب في الحرب محكومة بويلات الحرب التي تجنح دائما إلى الضغط والألم والتوتر والدمار...

جعلت الأزمة الأفراد انهزاميين إلى أقصى درجة، إذ تحبط الأزمة من عزيمة أشد الأشداء، وما بال الضعفاء والعامة، فهذا سليم يقول: << لكن حياتي المتأزمة لا تدفعني إلى الأمام بقدر ما تدفعني إلى الموت>>[3] فيصير الزمن غير الزمن، والحياة غير التي ألفناها، ومشاعر الأمة وأحاسيسها غير التي كنا نرجع إليها، فما أصاب المجتمع جراء الأزمة جعل فترة الحب قصيرة جدا.

يقف حب الذات عائقا في حب الآخر، وتنتهي القيم والمثاليات لينظر كل واحد من نظرته الخاصة، فخلال الأزمة كل واحد خائف على نفسه، يقول سليم :<< لكنني لست مستعدا أن أفقد روحي، من أجل بشر لا أعرفهم، أتعاطف معهم لكن لا أحد منهم سيتعاطف معي لو مت في الكتابة عنهم وعما جرى لهم>>[4]فهو لن

[1] الرواية ، ص 274
[2] يظ هيلين فيشر: لماذا نحب؟ طبيعة الحب وكيمياؤه ، تر: فاطمة ناعوط ، أيمن حامد ، المركز القومي للترجمة ، ط1، 2015م ، ص188،189
[3] الرواية، ص 13
[4] الرواية ، ص 64

يضحي بنفسه من أجل الآخرين، انطلاقا من مقولة لا أحب من لا يحبني، كما أن والده قتل أمه لأنه لا يحبها، كان يريد حياة أفضل يقول عنها: << فرض عليه الحاج لزرق الزواج من ابنة بوعلام الوحيدة " الزهرة " التي ولدتني، ثم ماتت برصاصة في رأسها من بندقية أبي الذي أراد التخلص منها ليعيش حياة جديدة >>[1]، وهذا نتيجة اعتقاده أن الحب فرض عليه، فأحس أنه فقد إرادته في اختيار محبوبته.

يهان الجسد في الحرب وينتهك ويصبح لا قيمة له، فيؤدي ذلك إلى كثير من حالات الفوضى والهستيريا التي تصيب العقل البشري، تقول إيفانا:<< أسوء شيء يحدث لامرأة هنا هو أن تستيقظ حبلى وتنجب أطفالا، وحدها الطيور مازالت تتكاثر، الكلاب والقطط قل عددها ولم نعد نصادفها بنفس الوفرة كما ألفناها في الماضي>>[2]، إنها هستيريا الخوف من آلام الحرب، ونتائجها التدميرية لكل ما له قيمة بالإنسانية، فلا يضحي الإنسان بحبه فقط بل يضحي بكل شيء حتى نسله.

تقف معوقات في وجه حب سليم وإيفانا، كلاهما من دولة مختلفة؛ فسليم من الجزائر وإيفانا من البوسنة، والجزائر لم تساند البوسنة _في أزمتها الدموية من أجل الانفصال وتحقيق الاستقلال_على أساس علاقاتها الحكومية مع صيربيا، على الرغم من ذلك كان الشعب الجزائري داعما لشعب البوسنة والهرسك، ما يجعل الطرفين غير متحمسين لعلاقة حميمة بينهما، كون مصيرهما متشابه.

[1] الرواية ، ص 288
[2] الرواية ، ص 21

3_ تعارض الحب مع الواجب والصراع الداخلي

يلعب الحب دور هام في الرواية، كونه سند روحي يضمد الجراح وآلام الفراق وخراب البلدان، فهو طاقة لخلق الأمل وبناء الذات من أجل الاستمرار، وبناء مستقبل أفضل، فيتحرر الإنسان من سطوة الواجبات الأخلاقية الكاذبة، ومن كآبة الماضي المرير.

تبدو من أحداث الرواية علاقات حب غير ثابتة متهلهلة ومتغيرة، فالكل يواجه صراعا سواء داخليا مع نفسه أو خارجيا مع البيئة وكل ما يحيط به.

يعيش سليم حياة عاطفية هادئة مع محبوبته مليكة في الجزائر، يزورها، يواعدها، يختلي بها، يحادثها باستمرار... إلى أن يبتاغه عرض عمه في سلوفينيا لزيارة عائلية، فتعصف به الدوافع الجنسية لإقامة علاقات مع فتيات أخريات، لكن مع مرور الوقت يجد أن عواطفه الرومانسية قد خفتت، وجموحه الجنسي الخام بدأ طريقه إلى الزوال عندما يكتشف أنه بهوية مزيفة، فتستنزف كل عواطفه ليعاني صراعا داخليا جديدا متمثلا في البحث عن هويته وأصله، حتى أنه يفقد الأمل في الحياة، يقول: << حين شاهدت نصف الحافلة ممتلئا ولاسيما من الشباب في مثل سني، ارتحت إذا ما صادفنا حاجزا مزيفا من نواطير الأرواح فلن أموت وحدي، وتؤنسني جثث في نومي الأخير، ثم لا حرج أن أموت، فأنا لست سوى لعنة بماض مخجل لا أبا لي ولا حبيبة >>[1] ليعيش صراعا داخليا عنيفا بين عواطف الموت الحياة، فيرى نفسه أنه لا يساوي شيئا، فيصارع من أجل معرفة هويته ليوجد لنفسه وجود في هذا العالم، فيضطر إلى التخلي عن الكثير قبل أن تستقر عواطفه في النهاية باستقراره في العمل.

تعاني إيفانا من عقدة الحب الأبوي الذي سببه لها والدها، إذ عاشت معه حياة عنيفة جدا لن تنساها أبدا، تقول: << برقت عيناه ثم انطلقت يده الغليظة على نحو مباغت مثل شرارة وصفعني، ثم صفعة ثانية وثالثة أسقطني أرضا، جسمي الطري وقتها لم يتجاوز الثانية عشر وهو يصفعني ويشتمني حقير ... خنزيرة ... ندير شؤم، سحبني من شعري وضرب جبهتي على الحائط >>[2]، هذه المعاملة ولدت لها عقدة نفسية حتى بعد وفاته، مما جعلها ترى في أبيها ذلك الشخص البائس الجبان، فلم يسمو حبها لأبيها حب الولد لأبيه خاصة عندما

[1] الرواية ، ص 276
[2] الرواية ، ص 42

يتغير مزاجه ويدخل في صراع مع أمها، << كان يضربها بقوة على وجهها وأسفل بطنها، يركل مؤخرتها ويصفها بالمخبولة، ويشتمها ويشتمل أهلها(...) ألوذ بالبكاء، وأتوارى أسفل طاولة المطبخ، أنتظر أن تنتهي طقوس تعنيفية لها، وينعزل في غرفته وهو يتمتم كلمات نابية لأحضنها أو تحضنني، أسمع شهقاتها وتسمع شهقاتي >>[1]، كان على الأب أن يحمي أسرته لا أن يمارس عدوانيته على زوجته، وهو ما جعل أسرته في صراع يعارض أسمى العواطف والأخلاق.

تعيش إيفانا صراعا داخليا حادا عندما تكتشف أنها وقعت في المصيدة، وحبلت من رجل يقبع في السجن، ولن يخرج منه إلا كهلا أو عجوزا، ويدخلها في حالة من الهستيريا والغضب، فتقرر إسقاط جنينها وهو أمر يتعارض مع قناعتها الشخصية، ويتعارض مع الواجب، لتنتصر رغبتها في محاولة إرضاء أمها، ومواصلة طموحها في كتابة أعمالها المسرحية على أن تصير أما لطفل بلا أب، رغم الدور الذي لعبه الطبيب كمرشد ديني في التخفيف من التعارض و محاولته تجنب الإجرام على رغم كونه متواطئ في الجريمة.

يحقق الراوي في المجازر على الرغم من عاطفة الخوف التي تسيطر عليه، فواجبه يسمو على جميع المشاعر، لكن تلك المشاعر تنكمش أمام الواجب، إذ يضحي بكل شيء، يقول:<< هجم مسلحون على سيدي لبقع مباشرة بعد إفطار السادس يوم من رمضان، محملين برشاشات كلاشينكوف وماط 49 وخناجر ويرتدون قشابيات من وبر أسفلها سراويل جينز، بعض منهم ينتحل أحدية رياضية من ماركات أمريكية أو ألمانية، يعتمرون قبعات بكول الأفغانية، ويطلقون لحى طويلة اختاروا ضحاياهم بدقة، فقد دونوا قائمة بأسماء المستهدفين على ورقة، ذبحوا البالغين كما يذبح الدجاج، وقسموا جثث الأطفال نصفين طوليا ثم رحلوا >>[2]،هذا المشهد يجعل الراوي عاجزا أمام ما رآه، فيبحث عن مخرج للهروب من بشاعة وفظاعة الموقف، فنراه يختفي وراء عواطفه، يقول:<< شعرت بدمي يغلي، واحتجت أتصل بمليكة >>[3]وهو بذلك يعيش حالة مضطربة إذ ضحى بحبه في سبيل قومه، لكنه يحاول أن يعود إلى حبه.

[1] الرواية ، ص 23
[2] الرواية ، ص 13
[3] الرواية ، ص 13

استطاع بطلا الرواية أن يحققا طوحهما على الرغم من الظروف التي مرا بها، فإيفانا رغم اعتراضات والدتها على دراستها في كلية الفنون إلا أنها استطاعت أن تكمل دراستها وتتخرج من الكلية، لكنها تصطدم بواقع جد مؤلم يحول حياتها إلى معركة ضد البقاء ولظروف جد قاسية تهاجر إلى سلوفينيا وتعود، تنجح في تحقيق حلمها في أن تكون كاتبة مسرح وتبدأ خطواتها الأولى رغم كل المعارضات والتناقضات والصراعات التي تشهدها إلا أن علاقاتها العاطفية كانت فاشلة، أما سليم يتوقف عن عمله في الصحافة ويهاجر إلى سلوفينيا، ليمر بمرحلة جد صعبة في حياته، تتهدم الحقائق أمام عينيه، فينتقل من حرب دموية إلى حرب نفسية يكاد يفقد فيها حياته، لكنه ينجو ويرث من أبيه الشرعي ثروة تمكنه من إصدار جريدة أسبوعية، وبذلك يعود كلاهما إلى فضائه السابق وذكريات الرعب والخوف.

من خلال الرواية رصدنا الجمع بين ثنائية الحب والحرب ثنائية ضدية، فالحرب تبعث الرعب والدمار والخوف والألم وانتظار الموت، فلم يترك للحب كعاطفة انسانية صادقة ونبيلة أن تنمو وتتطور رغم صدقها مما يجعلها لا تكتمل، وتموت في منتصف الطريق، لأنه زمن يبرر فيه كل شيء، المهم البقاء حيا، فينتهي الحب إلى نهاية مأساوية يحز النفس البشرية، فيتمنى القارئ للرواية لو استمرت، لكن الروائي يتلاعب بدهن القارئ إلى أقصى حد.

الفصل الثالث: الهويات المفقودة والمعذبة

_تمهيد

1_ البحث عن الهوية المفقودة

2_ صراع الهويات المعذبة

_خلاصة

تمهيد:

أضحت مسألة الهوية في رواية الأزمة تيمة ملحة بفعل متغيرات الواقع المعاش ومتطلباته التي فرضت نفسها على الروائيين من أجل الاستجابة لهم، من خلال معرفة ذاتية الفرد وخصوصياته حتى يستطيع التعامل مع الآخر وإبراز صلته وانتمائه وفهم قيم ومعايير الجماعة التي ينتمي إليها، وبالتالي يكتسب ذات مستقلة من جهة ومرتبط بمجتمعه من جهة أخرى.

اتخذت الهوية خلال الأزمة عدة اتجاهات، منها الهوية المحافظة على أصالتها وتراثها والهوية المندثرة التي هاجرت وتخلت عن هويتها وهي فئة قليلة جدا، والهوية المتطرفة التي خالفت المنظور التكاملي للهوية وهي موازية مع التطرف السياسي والديني والأخلاقي والعبثي وقد برزت بكثرة خلال العشرية السوداء ... وقد نتج عن تعدد الهويات صراعا نتيجة رفض هوية الآخر، إذ تسعى الذات من خلال صراع الهويات إلى تشكيل هوية تميزها عن غيرها، وهو ما أدخل البلاد في أزمة حقيقية لا تزال حتى يومنا هذا.

تعاني الهوية من الفقد نتيجة ظروف تحيط بها داخل المجتمع، فتنتفض الذات البشرية بحثا عن انتمائها ومعرفة حقيقتها من خلال الجماعة التي تنتمي إليها، من أجل فرض نفسها كعضو فاعل ومؤثر، فتمثل بدلك صراعات نفسية مع الفرد نفسه أو مع مجتمعه أو مقاومة البيئة التي تعيش فيها من أجل إثبات الذات في هذا الوجود.

1_ البحث عن الهوية المفقودة :

اختار سعيد خطيبي الشخصيات الرئيسية في الرواية مثقفة (سليم صحفي، وإيفانا كاتبة مسرح)، ليقدم لنا صورة الهوية القادرة على قراءة ما يقع من حولها واعية لما يجري حولها وفي العالم، رافضة بذلك استمرار ضياع الهوية، باحثة عن وجود وانتماء لها.

يعيش سليم في الجزائر كأي نكرة لا يبالي بأي شيء، لا بالساعات ولا عد سنوات عمره، لا يهتم إلا بنزواته الشخصية ليطلق لنا العنان لغرائزه الحيوانية مع محبوبته، فيجسد مجالا خصبا يبين حقيقة فقد الهوية خلال الأزمة؛ تتجسد من خلال التيه والتسكع الذين ارتبط بهما في كثير من أجزاء الرواية، يقول سليم: << شغلت الراديو، ليس بقصد الاستماع للأخبار، بل لكسر صمت الشقة الموحش >>[1]، كونه يعاني وحيدا في غرفته من التيه النفسي محاولا تجنب تلك الحوارات النفسية المملة والتي تدخله في دوامة من التفكير، ونراه يتسكع مثل قوله:<< كنت أذهب هناك للعب الدومينو، أو تنس الطاولة مع رفاق سابقين>>[2]، كما نراه يكثر من ذكر المقاهي، يتسكع باستمرار من مقهي إلى مقهى آخر، كأنها ملاذه الأخير.

تتأسس فكرة التيه والتسكع على <<الخروج من المكان أو التحرك خلاله أو عبره أو اختراق لحدوده، إلا أنهما تعكسان تجربتين مختلفتين عن السفر أو الترحال، ذلك أن الفرق بين هذه التجارب أن التائه أو المتسكع قد فقد معالم الطريق ولم يعد لهما هدف أو محطة تتوقف عندها رحلتهما في الأخير، والأهم أن تلك الطريق ليست بالضرورة تلك التي تقضي إلى مكان ما، بل التي تقضي أيضا إلى هوية الإنسان، إلى الوعي بمن يكون>>[3]، فالتائه أو المتسكع هو الضائع في مجال معين لا يدرك ما يحول حوله سواء في سفره أو هويته وقد يكون حتى فاقدا لشخصيته وانتمائه، فسليم مثلا يعيش واقعا غير واقعه، وأن نسبه غير الذي كان يظن، فيعتبر حياته خدعة وأنه لا يساوى شيئا وأنه وجد في الحياة عن طريق الخطأ فيتغير مزاجه وطبيعته، نراه يعبر عن ذلك بهذا المشهد، <<اصطدمت بعجوز وأنا أركض نازلا عبر السلالم، لا أذكر وجهه لكنني أذكر أنني لم أتمالك أعصابي وشتمته ... قود ... ورحت أمشي كمعتوه في شوارع ليوبليانا >>[4] ليعاني بطل الرواية حالة من الضياع النفسي كونه

[1] الرواية ، ص 12
[2] الرواية ،ص 14
[3] الرواية ، ص 143
[4] الرواية ، ص 232

يعيش بهوية غير هويته الحقيقية، إذ أكتشف أن عمه هو أبوه، فما كان له إلا الصراخ والعواء والتأوه والنواح وركل كل ما يراه في طريقه كونه مرهون بمن يكون.

يضطر سليم العودة إلى الجزائر بعدما يكتشف أن الذي كان يعتقد أنه عمه هو أبوه وأن من كان أبوه هو عمه، ليشكك في نسبه من جديد، يأخذه الضياع والتيه إلى أبعد الحدود إذ يرى نفسه أنه مجرد نطفة هاربة ولدت في لحظة شك ، يضطر للبحث عن هويته واستعادتها لترسيم ارتباط الفرد بشرفه وارتباطه بنسله مهما كانت الظروف، على الأقل يعرف نفسه، لأن التعرف على الذات هو أفضل سبيل للاعتراف بالأخر.إذ يوصله بحثه عن هويته بعد عناء نفسي كبير وكبح لمشاعره إلى الحاج لزرق، حيث يفشل في تحقيقه الأول معه كونه متوتر وتبرز عليه ملامح الخوف والارتباك خاصة في أول مقابلة مع شخصية مرموقة انتقلت بين رتب عسكرية مختلفة، فيعود يطارد التسكع من مقهى إلى مقهى أخر يعاني الضياع لكنه، يعود إليه مجددا وينجح في معرفة هويته وحياة أبيه اللئيمة ومعرفة اسم أمه: الزهرة بلزرق، إذ مثلت الهوية الحضور الفعلي لسليم داخل المجتمع الكثير من الصراعات النفسية كان دافعا قويا جدا لمعرفة حقيقته وأصله في مجتمع يعرف حربا أهلية مدمرة لا ترحم.

توحي البيئة الجزائرية بكل أشكالها المختلفة بالهوية العربية الإسلامية، فلو وضعت كف يدك على أي قرية أو مدينة لرأيت كيف نقشت عليها ثقافتها وهويتها، << فالانطلاق من المكان الجزائري بالمعنى الجغرافي والنفسي، ونحن نعلم المكان الجغرافي بنكهته المحلية في الرواية يأشر بالضرورة إلى خصوصيتها وهويتها ذلك أن كل ملامسة للمكان إنما هي ملامسة لشبكة ونسج العلاقات الاجتماعية المرتبطة بمجالها أو حقلها المعيشي ارتباط وجود وانتماء وهوية، مما جعله ينهض هو الأخر بوظائف مهمة كتحديد هوية الشخصيات الروائية وإبراز الحقائق الاجتماعية واستفزاز الذاكرة وتفسير المشاعر>>[1]، لتبرز الرواية مرجعية سليم وثقافته، إذ ولد في بوسعادة وتربى في العاصمة وكسب هويته الخاصة، ليرتبط بهذا البلد جعله يعيش شعور بالفقد لهويته في البلد الذي سافر إليه (سلوفينيا)، وخاصة حين وجد نفسه ضائعا تائها وحده وسط الجموع، كضيف بلا عرضة، نتيجة للأزمة التي خلفت له دمار نفسي وفكري وفقد الحرية التي أصبح لا يراها إلا على الجدران، أو يسمع بها في عالم الخيال، وما تلاها من ويلات حملها الفرد الجزائري على كتفيه المرهقتين المخضبتين بالدماء، وليس بعيدا عنه والده سي أحمد إذ يقول عنه:

[1] جمال بوسلهام : الحداثة وآليات التجديد والتجريب في الخطاب الجزائري ، حارسة الظلال لواسيني الأعرج أنموذجا ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة وهران ، 2009/2008م ، ص24 .

<< شعر سي أحمد بنفوري من الثرثرة في حال الحاج فغير الموضوع .

_الحال تبدل والبلاد تخلطت.

للمرة الأولى منذ وصولي نطق جملة أشعرتني بأنه مهتم بحال البلد، لا أعرف إن كان يوجه تساؤله إلي أم يحادث نفسه فقط >>[1] ، فالاغتراب لعب دورا كبيرا في التعبير عن الهوية المفقودة، فهل سي أحمد شعر حقا بفقد هويته أم أنه يرغب في طمأنة سليم فقط، أم أحس بأنه خانه حين هجره، أم يثوق إلى وطنه والعودة إلى سابق مجده، << فهمت أن سبب بقائه في سلوفينيا هو ميلاد ابنيه وليس شيئا آخر، ألا يحب زوجته؟ لم أتجرأ على سؤاله، خشية ردة فعل سلبية منه، اعتقدت أنه تزوجها عن حب وليس عن إكراه، إنها سبب تفريطه في الجزائر، وفي منحة مجاهد السخية مع ما يرافقها من امتيازات، كان سيحصل عليها من الحكومة >>، لكن تهب الرياح بما لا تشتهي السفن .

الكل يبحث عن الهوية المفقودة حتى الإرهابيون (نواطير الأرواح) أنفسهم التحقوا بالعمل المسلح من أجل تطبيق شرع الله، من خلال تطبيق الدين الإسلامي وانقاد الناس، وبالتالي يستقر المجتمع في الطريق الصحيح، ويرون أنفسهم يجاهدون في سبيل الله من أجل البحث عن الهوية المفقودة من خلال الدين الإسلامي الذي يمثل هوية الشعب الجزائري وقد وجدوا بذلك تأييدا واسعا من طرف الشعب الجاهل والغير واعي، كان ثمنه آلاف القتلى وملايين المشردين وانهيار في جميع المجالات. فالأعمال الإرهابية والفتن التي صورتها الرواية مثل قول سليم: << وشرع في تلاوة أخبار الدم وفي عد ضحايا حرب لم نتفق على اسم لها بلكنة جافة (...)سيارة مفخخة انفجرت هنا، وعدد من المواطنين قتلوا غدرا في ليلة واحدة هناك >>[2]، حتى أنه صار يتجنب الحشود خوفا من الموت، يقول: في الحقيقة أتجنب الذهاب للأمكنة التي يتجمع فيها الناس لا أذهب للأسواق ولا المساجد ولا الأعراس، خوفي من أي تفجير قد يحدث في أي لحظة >>[3]، ونرى إيفانا تقول: << وأبلغني أن قوائم ضحايا الحرب قد امتلأت بأسماء جديد >>[4]، وغيرها ما هي إلا ناتج عن أزمة الهوية الجماعية، وعدم تقبل الأخر، فالهوية المغلقة كانت سببا للحرب ولا تزال حتى اليوم وهي من أكثر المشاكل التي يعاني منها العالم في حاضرنا،

[1] الرواية ، ص 159
[2] الرواية، ص 05
[3] الرواية، ص 34
[4] الرواية، ص 239

فالحضارة تدعو إلى انتصار الوطنية المحددة على أساس بناء العلاقات الإنسانية لا على أساس الانتماء ونقاوة الجنس البشري كما يعتقد أولئك الحمقى.

تسرف إيفانا في وصف عائلتها، فلا تذكر عن الأب إلا عدوانيتهومعاناة الأم معه إلى أن يموت مقتولا، وأمها تعاني صمتا كأنها تخفي الكثير من الأسرار، وأخت ذهبت الحرب بعقلها وجد لا تعرف عنه شيئا، إذ شكل وجود العائلة عالم لا موجود، يقبع تحت واقع دموي مختلق يعيش حرب بين طائفتين، أرتكب الصرب خلالها أكبر مجزرة في تاريخ أوربا بعد الحرب العالمية الثانية، راح ضحية هذه الحرب نصف مسلمي البوسنة، لتبز لنا هوية مفقودة ضائعة من خلال ذاتها وأسرتها ووطنها، أبوها يمارس عليها السلطان الأبوي إذ يحكم قبضته عليها تقول عنه: << بينما لم يتورع في شتمي ووصفي بالقبيحة وعديمة الحسن، فعندما كسرت ساقي اليسرى في صغري وأنا أهم بالخروج من المدرسة راكضة وصفني بالمتهورة>>[1] جعلها تعيش حالة من الضياع النفسي كونها في حاجة إلى والدها الموجود الغائب، كرهته واعتبرته جبان، اضطرت إلى الهجرة نحو سلوفينيا مغتربة لعلها تجد هويتها وضالتها هناك محاولة إكمال مسرحية تتنامى في ذهنها تجسد من خلالها آلامها، المسرحية في اعتقادها ستعوض عنها ما خسرته في الحرب وتعيد لها هويتها.

إن الربط بين الرجل الشقي أنتون الذي يحمل الكثير من الشرور في طياته الشخصية كما تصفه ابنته إيفانا، والذي تصفه زوجته بأنه مات حين هجره والده، ثم مات حينما سقطت عليه شظية قذيفة، وبين شعب دولة إسلامية كالبوسنة أو الشعب الجزائري اللذان يشتركان في نفس المصير، فكلاهما يرتبط بعقيدة إسلامية، وهو ربط لا يتماشى مع الواقع من الناحية المنطقية والدينية العقائدية وحتى التاريخية، لكننا نقبله من الناحية الفنية، من خلال المقارنة بين الرجل أنتون الذي فقد هويته وأصالته، وتشبيهه بأصالة شعب وهوية أمة بأكملها اغتصبت حريتها وكرامتها من خلال الصرب والكروات اللذان حاولا القضاء على البوسنة وطمس الهوية الإسلامية، وكذلك الاستعمار الاقتصادي الفرنسي في الجزائر الذي لا يزال يسيطر على اقتصاد البلاد وثرواتها، إن المسلم لا يقع في الكذب والنفاق والمعاناة نتيجة فقد الهوية كما صورته الرواية، والإسلام دين يجد فيه المسلم كل الحلول لراحة الإنسان في الدنيا والآخرة.

اختار الكاتب أسماء الشخصيات بدقة وعناية فائقة، لتؤدي دورا بارزا في إبراز الهوية المفقودة، فحضور اسم الشخصية يعبر عن الهوية ويخرجهامن الإبهام إلى المعرفة الخصوصية لحضور روابط منطقية ومتينة بين الاسم

[1] الرواية، ص 167

والشخصية التي تحمله خاصة خلال الصراعات الفكرية والإيديولوجية؛ فالعم لزرق اسم يوحي بالسمو، إنه لون السماء يأخذ إلى الضياع وإلى عالم مجهول، إنه الخافي لهوية البطل الضائعة بل هوية الجزائر كونه من يمثلها وعالم بأحوالها تنقل بين مختلف رتب الجيش وتولى مناصب عليا، فهو الوحيد الذي يعلم الحقيقة، وهو مثال يرسخ الشرخ الذي تعانيه الشخصيات في هويتها سليم، مليكة، فاروق ابراهيم، عمار ... وهي توحي بالمرجعية الإسلامية توضح مرجعية خلفية للهوية الفردية والجماعية مع الأفعال الحقيقية، لكنها لا تجد مرجعيتها خلال الأزمة، وتبقى في شكل طموحات كالعم أحمد الذي اهتم بتسمية أولاده أسماء عربية خالد وسفيان رغم أنهما ولدا في بلد غير عربي ومن أم غير عربية ولا يعرفان أصلا العربية، كونه يعاني صراعا مع نفسه وذاته نتيجة فقدانه لهويته.

تتجه الأمة الضعيفة دائما إلى نقد نفسها وتاريخها من أجل البحث عن هويتها وترسيم وجودها، لتضمن انتماء لها، كون الانتماء حاجة متأصلة في النفس البشرية، يقول سليم: <<قال المذيع بنبرة المنتصر... ليت الشهداء يعودون ويشاهدوا أين أوصلتنا البوصلة (...) وعزمت على الذهاب في اليوم الموالي إلى مقهى شعبي عملا بنصيحة فتحي لمقابلة واحد من السماسرة ومساومته في تأشيرة سفر، فالخروج من هكذا بلد مزيف لم يعد لي رزق فيه يحتاج إلى تزييف جاد وصارم.>>[1] ليثبت سليم أن الوطن يعيش بهوية مزيفة فاقدا لهويته الأصلية فكل شيء فيه مزيف، تعتز السلطة بتزييفه وتحافظ عليه عن طريق التجهيل وتفكيك قيم الهوية، ومشاركة الشعب في ذلك ولا تزل هذه الطقوس إلى يومنا هذا من أجل الحفاظ على كرسي الحكم. يقول فتحي: << حين ينتهي الساسة والعساكر والقوادون سيطلقون على المؤسسات والمراكز الثقافية أسماء دراويش أو بهائم، لكن أبدا لن يطلقوا عليها أسماء مثقفين أو كتاب >>[2] ليبين أن الجزائر تعاني أزمة هوية كبرى، حتى تجسد لنا الكثير من النكث كيف أن الحمار دائما يستلم مقعدا ساميا في السلطة، تشبه الأزمة في الجزائر كثيرا أزمة البلقان في انتزاع هويتها؛ << الناس يتحاربون في البلقان بعدما عجزوا عن إيجاد قسمة عادلة للتاريخ، أما نحن فلم نصنع تاريخا لنتخاصم من أجله، ولم نصنع تاريخا يجمعنا، بل صنعنا غيتوهات وتوزعنا فيها >>[3]، هذا الانشقاق خلق فوضى داخل المجتمع تتكالب عليه المآسي وتشتته من كل مكان، مما جعله مجتمعا هشا خاصة وأنه فاقدا لهويته، وأصبح كل فرد من المجتمع يأخذ بما لا يعنيه و اصبح الرجل المناسب في المكان غير المناسب.

[1] الرواية، ص 69
[2] الرواية، ص 98
[3] الرواية ، ص 160

وليس بعيدا عن الجزائر، شهدت البلقان واحدة من أعنف الأزمات في الفترة المعاصرة، وقد أخذت البوسنة بحظ وافر من الأزمة في بحثها عن استقلالها وتجسيد هويتها ، تقول إيفانا: <<هل كتب على البوسنيين أن يعيشوا تحت رحمة الآخرين؟ مجرد وجودهم في التاريخ جعل منهم ضحايا، لقد امتطى ظهورنا الجميع، مصوا دماءنا وتركونا وحيدين، وحين لم نجد من يغزونا رحنا نقتتل بعضنا بعضا بنشوة سكير يحتسي كأسا أخيرة >>[1]، إذ تبلور الوعي الجمعي لدى البوسنيين في تشكيل هويتهم وثقافتهم باحثين عن تكوين بلد لهم مثل فرنسا وألمانيا وانجلترا يضمن لهم انتماءهم، وهو ما لقي معارضة كبيرة من كثير من الأطراف أدت إلى خلق أزمة كبيرة .

[1] الرواية ، ص 133

2_ صراع الهويات:

تعد الهوية حقيقة الإنسان من خلال ماضيه وحاضره ورسم معالم لمستقبله، فيثبت وجوده في هذا العالم، لذلك تسعى الذات الإنسانية لفرض وجودها وإثبات حضورها.

تثبت الرواية الهوية الأصلية وكيف حافظت على أصالتها، والهوية الهجينة التي تتشبث بالغرب، فقد ظهرت هذه الأعراض منذ الاستعمار الفرنسي في الجزائر بصفة عامة، إذ تشكلت طبقة موالية لفرنسا، وقد أثارها محمد الغزالي في عهد الشاذلي بن جديد، وتسلط الرواية جانبا من هؤلاء الذين اعتنقوا السلطة وهم يحملون هوية هجينة، وهذا ما ألب المثقفين والمتمسكين بالتراث، مما خلق صراع وانشقاق ما أدى إلى تمزق الوحدة وتشظي الهوية، يقول سليم: << لكن لم أتوقع أن تنقطع الكهرباء عن سكان الحي في مثل هذا اليوم المهم، فبعض منهم يتابع أخبار وأحوال فرنسا أكثر من الفرنسيين أنفسهم، وحرمانهم من مشاهدة نهائي كأس العالم وعدم متابعة زيدان في يومه الأكبر، الذي يعتبرونه جزائريا رغم كل صفاته الفرنسية، أشبه بحرمان رجل من مشاهدة ابنه البكر لحظة الميلاد >>[1]، لينسبوا زيدان إلى الجزائر وهو تخلى عن الجزائر، وأصبح فرنسيا، ويلعب لتشريف فرنسا لا لتشريف الجزائر، وإنما يفعلون ذلك ليعبروا عن هويتهم الضائعة، وتفريغ لمكبوتاتهم، لأنهم يعانون من انفصام لهويتهم فيحاولون مشاركة زيدان في تخليه عن الهوية الجزائرية وتمسكه بالهوية الفرنسية، ويتعدى الأمرمن العامة إلى الشخصيات التي تملك مناصب عليا في الدولة خاصة في يوم استثنائي كنهائي كأس العالم الذي يعد تظاهرة عالمية مميزة، وعندما فازت فرنسا بكأس العالم سنة 1989م، يحتفل الشباب بفوزها كأنها بلدهم، يقول سليم: <<خرج الشباب من المرأب محتفلين، أحدهم راح يصفق ويهتف يا فرنسا يا مون أمور (يا فرنسا يا حبيبتي) أعطينا فيزا سون روتور (نذهب ولا نعود)؟ تمنيت لو حملت معي الكاميرا، وصورت فرحتهم، وهم يعانقون بعضهم كما لو أنهم مساجين خرجوا توا للنور، لأعرضها على جارتي نصيرة وأحقق لها رغبتها >>[2]، فقدوا هويتهم ويبحثون عن هوية أخربهي الهوية الفرنسية، يحاولون أن ينسبوا أنفسهم إليها، يستهزئ بهم بطل الرواية إلى أقصى حد، ويرميهم إلى الحياة البدائية، << وجدت البيوت تغرق في الظلام، والمباراة بلغت شوطها الثاني بينما يتجمع شباب الحي في مرأب قديم تتكوم فيه خردوات ميكانيكية وأخرى خشبية حول تلفاز، شغله أولئك الشباب بمولد كهربائي، زنقة العرب في كلام العامة، أو هي19مارس في الأوراق الرسمية، أو بوغوتا في قاموس

[1] الرواية ، ص 47
[2] الرواية ، ص50

الشباب، وهم لا يسمونه كذلك لأنه حي الأأمان، حي كل الجرائم والمصائب، تتراص فيه بيوت قصديرية وتنتشر فيه تجارة الحشيش والحبوب المهلوسة >>[1]، حال آلت إليه أوضاع الجزائر من خلال سيطرت فرنسا على اقتصاد الجزائر، من خلال شبكات فرانس أفريكا التي أنشأها شارل ديغول سنة 1958م؛ إذ جسد استعمار اقتصادي جديد أوقع بعشرين دولة افريقية لأكثر من نصف قرن آخر من الزمن، وهذه الشبكات أسندت لبيير غيوما وزير المحروقات وجاك فوكار أمين عام الإليزيه وهو المهندس الحقيقي لهذه الشبكات، وكانت هذه الشبكات لا تعمل إلا تحت يد الرئيس مباشرة ولا تخضع لأي وزارة، مهمتها تدبير الاغتيالات والانقلابات وتبييض الأموال في إفريقيا، وأبشعها حادثة إلف سنة 1995م التي هزت العالم والفرنسيين أنفسهم . يثبت بطل الرواية هذا الصراع بقلمه وقلبه بطريقة ذكية معبرا عن صراع الهوايات داخل المجتمع الواحد، خائفا من نواطير الأرواح (جماعات القتل) أو النظام الفاسد الذي يعاني من عقدة الحكم ويعمل مع فرنسا، ورأينا الرئيس عبد العزيز بوتفليقة يحكم الجزائر ويتحدث باللغة الفرنسية، وكان واجبا عليه التحدث باللغة العربية أمام شعبه الذي يتحدث اللغة العربية، لأنه في النهاية سيدفع نفسه إلى الهلاك، فهو حذر في تصوير الأحداث.

تسلط الرواية الضوء على مرتكز مهم _خلال الأزمة_ من سلطة الرجل داخل أسرته وانصياع الزوجة لأوامره، وتعلقها به، فتظهر سلطة ذكوية متحجرة تبرز القلق الذي يجتاح الذات الإنسانية، فأنتون والد إيفانا عاش مع زوجته وأولاده حياة عنيفة، لأنه كان يعاني صراعا مع هويته فلم يستطع التعامل مع الآخر تقول عنه زوجته: كان في البداية يحبني عارض أمه من أجلي، ثم انقلب علي وصار يتصرف كالجبناء، وعندما شعر أنه أخطأ معي تقرب من آنتشي ونافسني في حبه لها >>[2]، لتغير ظروف الحرب من مسار الحب داخل الأسرة من حب الزوجة إلى حب البنت، إذ تلعب آنتشي دور الوسيط في الأسرة في كثير من المرات وخاصة أنها البنت الصغرى، والصغير له معاملة خاصة في الأسرة، وترى زوجته أنه مات عندما هجره أبوه، وتخلى عنه، ومات مرة أخرى عندما سقطت شظايا قذيفة عليه، فهو مات مرتين، عاش حياة صعبة سببت له صراعا نفسيا حادا، فكان يعتقد أنه لا يلقي التجاوب مع أي شخص، << في صغره كان الناس ينعتونه باللقيط، تلك الكلمة سببت له أرقا مزمنا، مع أن اللقيط هو أفضل الأبناء الشرعيين، كما قال يوريبيديس (...) لم يعرف يوريبيديس، ولم يقرأ عنه شيئا عن المسرح التراجيدي الإغريقي، كان يشتبك بالأيدي مع كل من يسخر منه، ثم ابتكر قصصا للرد عليهم، كأن يقول بأن والده التحق بقوات البارتزان ومات في الحرب قرب نهر نيريتفا، أو أنه معارض سياسي يعمل في ايطاليا، أو أنه

[1] الرواية ، ص 49
[2] الرواية ، ص 258

دبلوماسي يعمل في أرض بعيدة، عاش مدافعا عن كرامته ومات موتة شنيعة >>[1]، كان دائما في صراع نفسي يخفي هويته لأنه قوبل بالاحتقار والادلال والرفض من طرف الغير، فلم يستطع التعامل مع الغير أو التأقلم معه كونه بهوية مزيفة، إذ يحاول دائما إثبات حقيقته وإيجاد هويته بفرض نفسه داخل المجتمع ولو بالقوة.

تعمد الكاتب الرجوع إلى الماضي وذكر السحر والشعوذة من خلال ابنة خوجة و قارئة الفنجان، يقول سليم:<< تقدمت منها، وبعد أن فرغت من الفتيات اللواتي كن ينتظرن قبلي، دون أن أتكلم، خاطبتني: سلام، هل كُتب على جبيني أنني عربي؟ وأشارت إلي أن أطلب قهوة ... كافا ...كافا >>[2] ليبين كاتب الرواية الامتداد المعروف قديما في فترات الجهل والإضرابات ما يثير قضية الهوية والانتماء والصراع بين المحظور واللامحظور، وهذه القضية تزداد انتشارا داخل المجتمع في فترة الأزمات، خاصة حينما يأخذ الإنسان في البحث عن الحقيقة والجذور والأصول والانتماءات ... وهي التي تسبب الكثير من الضغوط النفسية والعصبية للفرد.ونرى إيفانا التي تذكر كيف نبهتها أمها إلى ذلك الساحر الذي غار منها ودس لها سحرا مع ذلك الديك المشؤوم، ولا بد عليها من البحث عنه للتخلص من الحظ السيئ الذي يطارد حياتها، تقول: << أمي قالت لي ذات مرة أن سبب الحظ السيئ الذي يعترضني هو مشعوذ غار مني، كتب تعويذة على ريش ديك رومي ودفنه حيا، ولن أتخلص من سوء الطالع سوى بإيجاد ذلك الديك الرومي وحرقه، لست أصدق خرافات أمي ولكنني أصدق أنني أحتاج إلى مشعوذ مقتدر يخلصني من الغم الخانق الذي طفح على جلدي كالفطريات >>[3]، وعلى الرغم من عدم اهتمامها بالسحر، إلا أنها تبحث عنه من أجل التخلص من الغم الذي يخنق حياتها.

ترجم الصراع الإيديولوجي أثناء الأزمة بين القطبين السياسي والإسلامي أفكار التيارين إلى صراعات على أرض الواقع وخلق أزمة لا تزال حتى يومنا هذا، فلم يستطع أي طرف تطبيق أفكاره على أرض الواقع بطريقة صحيحة وسلسة، التيار الإسلامي لم يحكم بقوانين الدين على حقيقتها واعتمد على الدعم الخارجي خاصة من فرنسا وهي غير موثوق فيها، ولا التيار السياسي استطاع قيادة البلاد كونه يعاني من عقدة الحكم وكرسي الرئاسة، وحصر الحكم والثروة في فئة محددة، أدي إلى خلق بلد بيروقراطي تحكمه أنا وحاشيتي لا غير.

أظهر هذا الصراع جدلية العلاقة بين الذات والآخر مؤسسة وفق المطابقة التي لم يستطع فهمها على حقيقتها، وفهمت على أساس الامتثال لا الاختلاف، والاختلاف رحمة، أما الامتثال فيؤدي إلى القضاء على

[1] الرواية ،ص 43
[2] الرواية ، ص 114
[3] الرواية ، ص 154

التطور ومحاربته مثل: إعطاء طبيب لنفس الدواء لمجموعة من الأشخاص يعانون أمراض مختلفة حتما سيؤدي إلى قتلهم جميعا ولا يبقى إلا واحدا، فالأخر هو سبب وعي الذات، وهذا الجهل المتفشي أدي إلى القضاء على إنتاج الهوية المتميزة انطلاقا من مقولة أنت معي أو ضدي.

عمد الروائي إلى ثنائية الصراع بين الأنا والآخر ويجعل فواصل بين العناوين في الرواية، ليقدم السرد على لسانين مختلفين، تعمد خلق فجوات من أجل أن يتيه القارئ بين العناوين؛ إذ يخصص عنوان على لسان سليم، ثم عنوان على لسان إيفانا، ثم يعكس عنوانان قبل النهاية ليجعل الرواية تبدأ بسرد سليم وتنتهي به ، ليعطي لهذه الذات أهمية بأن الهوية الجزائرية عانت أكثر من نظيرتها في البلقان، لكن مصيرهما مشترك.

تجسد الرواية الهوية المتشظية والمنقسمة إلى قسمين من خلال الرياضة، فسليم لم يرغب في تفويت فرصة مشاهدة مباراة نهائي كأس العالم بين فرنسا والبرازيل ليعاني اهتزاز في الانتماء واضطراب في الولاء، صعب جدا أن تكون جزائري وتحتفل لفوز فرنسا، كان على الجزائري أن يتأسى على حال منتخب الجزائر فهو لم يتأهل أصلا إلى كأس العالم، وفرنسا تقتات على ما تنجبه الجزائر، ليس حال سليم بل معظم الشعب الجزائري، إذ يحاول الجزائري ترك وطنه الذي يسكنه ويحاول الهجرة إلى فرنسا، بلد آخر لا علاقة له به إلا أنه نهب ثرواته وقتل الكثير من أبنائه وطمس هويته، ليبقى بين هوية ترفضه وهوية يرفضها، فتحاول الرياضة من خلال الجانب الوجداني والاجتماعي أن تخلق جوا من المنافسة الشريفة التي تبث في النفس الرضا عن النفس وتقبل الآخر، لتحقيق التوازن وتهدئة الاضطرابات النفسية للهوية المتصارعة.

تبرز الرواية وجهة نظر مهمة من الزنوجة وصراع الهوية، فالهوية تعمل على دحض العدم واللاوجود بما يتحدد من ميكانيزمات وآليات لتفرض الوعي بالوجود، وإعادة ترميم الهوية الأصلية لا الهوية التي بناها الاستعمار فرضها على الشعوب الضعيفة بكل الوسائل من أجل السيطرة ، خاصة السود في إفريقيا ولا يزال يجسدها إلى يومنا هذا، يقول سليم: <<لا أحب السود. خاطبتني نادلة ثلاثينيةبانجليزية هجينة (...) أنا "بلاك" أسود، لأن شعري فاحم، ولأن شمس البحر الأبيض المتوسط نالت من بشرتي قليلا مع أنني في الجزائر أنعت بالأبيض وأحيانا الروجي (...) لكن أمام بياض سلوفينيا الساحق لست سوى أسود في نظرها أو أسمر في أفضل الحالات، وأجنبي دائما>>[1] لتبرز لنا الرواية واحدة من أبرز القضايا العنصرية التي جسدتها الدول الاستعمارية وطبقتها على مستعمراتها وخاصة في إفريقيا، إذ ينظر الاستعمار إلى نفسه نظرة تفوق وتقدم وعلو في جميع المجالات، إذ <<أن

[1] الرواية ، ص 97

التفوق العرقي البرجوازي الغربي اتجاه الزنجي إنما هو تعصب واحتقار تعصب استهانة >>[1] فهو احتقار لهوية المواطن الأصلي وتهميشها والعمل على القضاء عليها من أجل ضمان السيطرة لأطول مدة ممكنة، وتبرز هوية الزنجي من خلال المقاومة التي عرفتها الشعوب المحتلةخاصة في القرن الماضي من أجل إثبات هويته، وقد تمكن السود من إثبات هويتهم إلى حد كبير لكنه إثبات نسبي وقليل المفعولية، فالسود حقق هويته إداريا إذ تمكن من إثبات وجوده وذاته، لكنه مازال محتقر نفسيا لدي البيض ومتوحش وأقل وعيا إنه حيوان، وقد جسدت ذلك الكثير من الأحداث التاريخية ذلك مثل ما قامت به فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، إذ قامت بتقسيم الجيش إلى البيض والزنوج، وجعل السود في المواجهة، ولا تزل فرنسا إلى اليوم تستخدم الجيش الأجنبي أو ما يعرف باللفيف، أي أن يقاتل الأجنبي من أجل فرنسا وخارج الأراضي الفرنسية من أجل الحصول على الهوية الفرنسية، والأكثر من هذا والأدهى ما طبقه ستالين من خلال مشاريع الجينوم البشري، إذ حاول تهجين الإنسان مع القرد والخروج بجنس جديد يحمل صفات القردة في القوة وسهل الانصياع، وبعقل بشري في تنفيذ الأوامر، وطبق هذا المشروع على السود في إفريقيا لكنه فشل، هذه الشعوب الضعيفة طمست هويتها من خلال العرق ووهم الانتماء الكاذب ... لتكشف لنا عن الهويات المضطربة والمتصارعة والمنسحقة لتتزعزع الهوية الأصلية، خاصة وأن هذه الدول ضعيفة جدا يقول سليم: << لمحت طفلا يلعب بكرة صنعت من كيس حليب ونادية اقترب مني، وهو يمسح مخاضه بكم سترته، وشاهدت تقرحات في وجهه كما لو أنه مصاب بالشمبانيا>>[2]، ليجسد لنا واحدة من صور الأزمات التي شهدتها إفريقيا، فما يبرز في الأزمات إلا الذات المنهكة نتيجة رد فعل الهوية المتصارعة والمتشظية والمشتتة والمهمشة والمكسورة.

يكشف الكاتب في بيت سعدية عن حقيقة الأسرة الجزائرية والعقلية الذكورية المضطربة، والظلم الاجتماعي الذي تعاني منه المرأة الجزائرية خاصة أثناء الأزمة وقبلها، يقول سليم: << نبهتني أن الحاج فرض منطقا عسكريا على أختها وعلى المقربين منها، لم يجرأ أحد على مخالفة رأي له، ولا كلمة، ما الله يرحمها هي التي كانت تزورها، أخبرتني جدتي زبيدة هي الشخص الوحيد الذي كان يزور أمي (...) كان صوت الحاج كفيلا بإسكات الجميع، كان يرعبهم، واليوم سكت>>[3]، لينزع اللثام عن واقع الأسرة الجزائرية، وفقدها لهويتها الأصلية وعدم تشبتها بتعاليم الدين الإسلامي الذي يدعو إلى الروابط الاجتماعية وصلة الرحم، فتبرز صور للصراع العائلي من خلال الشجار، التمرد والتفكك الأسري ... وهي حال الكثير من الأسر الجزائرية .

[1] فرانز فانون ،معذبو الأرض تر : سامي الدروبي ، جمال الأتاسي ، ط2 ، مدارات الأبحاث والنشر ، القاهرة ، مصر ،2015م ، ص 135.
[2] الرواية ، ص 280 .
[3] الرواية ،ص 278، 279

تتعرض المرأة للتهميش فتتموضع كعنصر فاعل خلف الرجل وتنصاع لأوامره، فتصبح تابعة لهوة الزوج أو الأب، فهي كجسد يحيل إلى هويتها مرتبطة بهوية أخرى، فتنمحي وتتشتت، فإيفانا تحاول الانفصال والاستقلال بهويتها من خلال مشاعرها اتجاه والدها لأنه فرض عليها أن تعيش كما يرى هو، إذ هددها بعدم جلب العار تقول: << صحيح أني بغضت والدي، ورغبت في التبول عليه، لكني لم أود أن أسبب له حرجا، والدي لم يخجل مني أن نعتني بالقبيحة >>[1]، لأنه يرى أن هويتها تابعة لهويته، وأنه المسؤول عنها في كل شيء، فكانت في حاجة للانشطار عنه، وبحاجة إلى قومية تحتضن كيانها لتكسر حواجز صمت أمها المطبقة عليها فهي لا تراها إلا أم صموت، والنبذ الذي عاشته من طرف أبيها، فالمجتمع القابع تحت الحرب يجعلها تعيش تحت هوية مفروضة عليها، تقول عن صديقها:

<<كان يكبرني بشهرين وهو فارق كاف برأيه ليفرض علي سلطته.

ــ لي خبرة تتجاوز خبرتك.

يتجاوزني بخبرته في تربية الكلاب وفي تعذيب الضفادع بسيجارته وفي لعب كرة القدم، وفي قهر خصومه في لعبة الشطرنج لا أكثر >>[2]، لتبرز لنا الرجولة مهووسة بالسلطة تسعى نحو التملك والسيطرة ومحاولة فرض السلطة على المرأة كونها تنتمي إلى جنس المؤنث، لتمارس عليها كل أشكال الهيمنة وفرض قيود عليها أكثر من الرجل وهو يسلبها هويتها وحتى جسدها، الذي كرهته تقول: << كرهت جسدي، وداومت على الحميات الغذائية، تملكني هوس بشكلي وصرت أقف أمام المرآة طويلا >>[3]، تنظر إلى جسدها أنه مرهون بالجنس الأنثوي المتملك من طرف الجنس الذكوري تقول: << ساعدني في كتابة المشهد الأول، وفي تصحيح أخطائي مقابل أن أمنحه مرة أو مرتين في الأسبوع متعة عابرة في واحدة من غرف التأجير >>[4]، والأكثر من ذلك التعدي على السيطرة على ممتلكاتها، لتفقد جسدها ومالها، << ولو قبلت الخوض في لعبته وخضعت لقوانينه سيطلب مني هذا الأشقر البدين مثل دب آدمي محمر العينين على الدوام، والذي لا يتوقف عن مضغ راحة الحلقوم في مرة قادمة مبلغ أكبر، سيجعل مني قربانا لنزاوته الصبيانية، ليس لي مال كاف، ما أجنيه من عملي البسيط كنادلة بالكاد يكفيني لقضاء شهر في هذه المدينة المتطلبة التي كلما تقدمت في العمر ازدادت غلاء، أما هو فينال راتبا محترما من

[1] الرواية ، ص 73 .
[2] الرواية ، ص 74 .
[3] الرواية ، ص 73
[4] الرواية ، ص 26

عمله في جريدة محلية، ومع ذلك لا يرأف لحالي >>[1]، مما يخلق أزمة نفسية متمثلة في القلق والاضطراب الذي يجتاح الهوية المغلقة نتيجة السلطة المفروضة، لكن كاتب الرواية حاول أن يكسر ذلك من خلال محاولة إسماع صوت الأنثى من خلال المسرح، ليبرز لنا الهوية المتصارعة مع ما يحيط بها من أجل إثبات ذاتها وفرض نفسها داخل المجتمع.

تحمل الرواية حتمية الانقطاع عن الوطن والهروب من الهوية الأصلية والخيانة، تمثل صراعا يحمل البعد الاختياري لذلك الرجل الوطني سي أحمد، الرجل الأمين المجاهد المناضل أثناء الثورة كما يدعي، وينتقل من مكان إلى مكان ناقلا المساعدات للمجاهدين، مجابها مختلف صعاب الحياة في سبيل تأدية واجبه اتجاه مجتمعه ووطنه، ليتحول إلى ذلك الرجل الخائن، تخلى عن وطنه وأهله مقابل المال، وقتل زوجته باحثا عن حياة أفضل، يقول عنه الحاج لزرق مخبرا سليم الحقيقة ، لكن سليم يبقى يشككها:<< أحمد باعنا مقابل مال وسخ، قال. وشى بعم الحاج لزرق وهو مجاهد قديم اسمه بوعلام انتهى به الموت تحت التعذيب في مخفر الشرطة الاستعمارية، ونوى مجاهدون أو من وصفهم الحاج لزرق بالخاوة تصفيته لولا هروبه إلى الجزائر العاصمة، واختفاؤه فيها سنوات>>.[2] لينفصل بذلك عن الجماعة التي يدافع عنها، ويتخلى عن هويته الجماعية، ويتعدى الأمر من ذلك إلى قتل زوجته لمجرد إشاعات، والتخلي عن ابنه كما يقول الحاج لزرق الذي فرض عليه الزواج من ابنة بوعلام الوحيدة، يقول سليم بعد أن سمع الحقيقة من الحاج لزرق: << ثم ماتت برصاصة في رأسها من بندقية أبي الذي أراد التخلص منها ليعيش حياة جديدة، ولفق لها قصة انتحارها بعد إشاعات عن تعرضها لاغتصاب من مجاهدين إبان الثورة، تحول من أحمد السبايطي إلى أحمد الحرايمي >>. واستغل فرصة تربية ابنه وتخلى عنه وخانه وهرب إلى سلوفينيا ليعيش حياة جديدة نافيا كل التهم عنه، وأن تعذيبه كان ظلما، ربما أحس بالألم والذنب، ليعيش صراعا داخليا جعله يحن إلى ابنه في الجزائر، حتى أن سليم تضايق من اهتمامه الزائد به، لتبرز لنا الرواية صراع الفرد مع مجتمعه، كون هذا الفرد (أحمد السبايطي) يعاني فقرا في المشاعر الإنسانية، فلا يرى في الغير إلا صورة الغير مرغوبة، كونه يعاني من الهوية القاتمة المغيبة فلم يستطع دمج هويته مع هوية مجتمعه، جعله يعاني صراعا بين الشك واليقين، اضطره إلى مغادرة بلده والعيش في بلد أخر، فأصبح كضيف بلا عرضة، لكنه يحن إلى وطنه في قرارة نفسه.

وليس بعيدا عن الجزائر شهدت البلقان واحة من أعنف الأزمات في الفترة المعاصرة، وقد أخذت البوسنة بحظ وافر من الأزمة في بحثها عن استقلالها وتجسيد هويتها، تقول إيفانا: << هل كتب على البوسنيين أن يعيشوا

[1] الرواية ، ص 37
[2] الرواية ، ص 287

تحت رحمة الآخرين؟ مجرد وجودهم في التاريخ جعل منهم ضحايا، لقد امتطى ظهورنا الجميع، مصوا دماءنا وتركونا وحيدين، وحين لم نجد من يغزونا رحنا نقتتل بعضنا بعضا بنشوة سكير يحتسي كأسا أخيرة >>[1]، إذ تبلور الوعي الجمعي لدى البوسنيين في هويتهم وثقافتهم باحثين عن تشكيل بلد لهم مثل فرنسا وألمانيا يضمن لهم انتماءهم، وهو ما لقي معارضة كبيرة جدا من كثير من الأطراف وهذه المعارضة أدت إلى خلق أزمة كبيرة وصراع هوياتي بين عدة طوائف من أجل فرض هويته وتحقيق مصالحه.

أبرزنا في هذا الفصل طريقة للتعبير عن مجموعة من السيرورات المتفاعلة التي اتخذتها الشخصيات الروائية من خلال إبراز الهوية المفقودة والمعذبة الباحثة عن أصلها، لنخلص من خلال الرواية إلى مجتمع مدمر خلال الأزمة، لتحل محل هذا الدمار أزمة هوياتية مضطربة، تبحث عن طريقة لتغيير المجتمع من شكل قديم إلى شكل جديد، حتى يتأتى له تحديد موقعه ضمن عدة هويات ويحس بانتمائه الوطني، والاعتراف بالآخر من أجل إثبات الهوية المسلوبة والمفقودة بعيدا عن الإقصاء والتهميش لأن الهوية لا تختزل فيما يملكه الفرد أو يعطى، إذ هي الاشتغال على كل ما هو موجود ومتاح لتتنفس الذات المقهورة من سموم كبتها وترسم حدود انتمائها.

[1] الرواية، ص 133

الخاتمة

الخاتمة :

توصلنا من خلال هذا البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

ـ إن المسائل السياسية في زمن العشرية السوداء شبيهة بأسئلة أبي الهول الذي نسمع به في القصص القديمة، إما أن يحلها من يزاولها وإما أن يغتال عن بكرة أبيه، لتجسيد ثورة جديدة هي اغتيال الشعب للسلطة بذل اغتيال السلطة للشعب.

ـ نشأت رواية الأزمة وفق خلفيات سياسية واجتماعية وثقافية مواكبة بذلك الحرب الأهلية التي شهدتها الجزائر محاطة بكل الأحداث بطريقة فنية رائعة، شكلت دفعة قوية للرواية بأن تقفز من مرحلة الثمانينات إلى رواية العشرية السوداء لتأريخ لمرحلة جديدة من تاريخ الجزائر.

ـ مزج الكاتب بين الرواية والسيرة الذاتية، حيث أسقط الكثير والوقائع من حياته خلال الأزمة على الرواية.

ـ ارتبطت الرواية بالواقع الجزائري وأبرزت أطراف متباينة حاملة لإيديولوجيات مختلفة متصارعة فيما بينها، فكانت مادة دسمة للكتابة من خلال مواضيع مرتبطة بالأزمة نقلها ببشاعة في تصوير الأزمة المترامية الأطراف.

ـ تعتبر رواية حطب سراييفو شهادة حية حولت الروائي لمؤرخ للأحداث، فاستطاع بذلك التأريخ للمحنة الوطنية من خلال تسجيل الكثير من الأحداث التي ألتمسناها في الرواية بغض النظر عن المستوى الذي كتب فيه مما جعلها تقع في فخ المضمون السياسي إلى الواجهة من خلال سقوط الأعمال في فخ التسجيل.

ـتميز موضوع الحرب بالعنف الرهيب والقتل الهمجي والاشتباكات العنيفة، تتخللها فترات الحب لتبرز المشاعر الدفينة أثناء الأزمة كدافع من أجل استمرار الحياة.

ـ جسدت رواية حطب سراييفو الأزمة التي شهدتها الجزائربأنها وليدة أفكار إيديولوجية متطرفة بين السياسي وجماعات القتل نواطير الأرواح .

ـ استطاعت رواية حطب سراييفو التأريخ للمحنة الوطنية من خلال تسليط الضوء على مساحة محددة من الجزائر العاصمة إلى بوسعادة ومحاولة تجسيد واقع هذه المنطقة خلال الأزمة، وربطها في مصيرها بأزمة عالمية تعرف بأزمة البلقان.

_ أبرزت الرواية كيف قادت الأزمة الجزائر إلى غياهب التخلف والسير إلى الوراء عشرات السنوات وانتشار الجهل والفقر والعوز، من خلال إبراز مصير المجتمع الجزائري وربطة بأزمة دولية كبرى عرفت بالبلقان التي شهدت أعنف حرب بعد الحرب العالمية الثانية، ليسقط كلا الشعبين في أبشع الجرائم الدموية التي شهدها العالم في الفترة الأخيرة.

_ انفتاح رواية حطب سراييفو على روافد ثقافية مختلفة مثل المسرح والقصة ، يمكن إدراكها من خلال الحكي، جسدها الشخصيات الرئيسية في الرواية.

_تخلق الرياضة جوا من المنافسة الشريفة التي تبث في الذات الإحساس بالرضا وتقبل الآخر، لتحقيق التوازن للهوية المتذبذبة والمعذبة.

_ أبرزت الرواية هروب الذات من واقعها المرير باحثة عن التوازن والاستقرار نتيجة التيه الذي كانت تعانيه.

_ تعرض الهوية للنبذ والاستيلاب والرفض والتهميش خاصة من طرف الأسرة لتعاني الهوية التفتت والفقد الذي يتسبب في خلق العزلة والاغتراب.

_ الاعتراف بالآخر ضرورة حتمية لتشكيل الهوية، وهذا ما لم نلمسه في الرواية من خلال الإرهاب والسلطة، مما جعل الاندماج داخل المجتمع مستحيل أدى إلى مستنقع من الدم تسبح فيه جميع الأطراف.

وكانت هذه أبرز ما توصلنا إليه من خلال رواية حطب سراييفو لسعيد خطيبي، الذي جسد لنا من خلال أحداث الرواية جانبا مهما من العشرية السوداء وربطها في مصيرها بمصير أزمة دولية مشابهة عرفت بأزمة البلقان، حيث تمكن من رصد الواقع ومعالجته بطريقة فنية فعبر عن هموم وطنية، قومية وإنسانية برؤية تقدمية، وتمكن من طرح الكثير من الأفكار التي ظهرت خلال العشرية السوداء.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة الصادر والمراجع:

المصادر:

1_ سعيد خطيبي، حطب سراييفو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2019م.

2_ بشير مفتي، المراسيم والجنائز،منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1 ، 1998م.

3_ طاهر وطار:اللاز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، قسنطينة، ط2.

4_ فضيلة الفاروق: مزاج مراهقة، دار الفرابي، بيروت،لبنان، ط2، 2007م.

5_محمد ساري: الورم، منشورات الاختلاف، ط1، 1998م.

6_ مفتي بشير: المراسيم والجنائز، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 1998.

7_ واسيني الأعرج : سيدة المقام، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، وحدة الرغاية، الجزائر، ط2، 1997م .

المراجع :

8_ أحمد فرحات: أصوات ثقافية في المغرب العربي، الدار العالمية للطباعة و النشروالتوزيع، لبنان، ط1.

9_بختي بن عودة، رنين الحداثة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 1999م.

10_ بلقاسم طلاسنية، سامية حميدي: العنف والفقر في المجتمع الجزائري، ط1، دار النشر والتوزيع، القاهرة، 2008م.

11_ سعاد عبد الله العنزي: صورة العنف الساسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، دار الفراشة للطباعة والنشر، الكويت، ط1، 2010 م .

12_ شريف حبيلة : الرواية والعنف، دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ط1، 2009م .

13_ عامر مخلوف: الرواية والتحولات في الجزائر، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.

14_ عمر بن قنينة: في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا وأنواعا وأعلام، ديوان المطبوعات الجامعية.

15_ فرانز فانون، معذبو الأرض تر: سامي الدروبي، جمال الأتاسي، ط2، مدارات الأبحاث والنشر، القاهرة، مصر، 2015م.

16_ محمد شفيق مصباح: الجزائريين ركوض ونهوض، تر: محمد مهناد le soir d' algerie ، دط.

17_ مخلوف عامر: أثر الإرهاب في الرواية، مجلة عالم الفكر، المجلد 22، العدد الأول، د ط، 1999م.

18_ نبيل سليمان: التجريب في الرواية الجزائرية

19_ هيلين فيشر: لماذا نحب؟ طبيعة الحب وكيمياؤه، تر: فاطمة ناعوط، أيمن حامد، المركز القومي للترجمة، ط1، 2015م .

الأطروحات :

20_ ابتسام يوسف، أمينة بوالصابون:تمظهرات الصراع السياسي لفترة العشرية السوداء في الرواية الجزائرية، رواية متاهات ليل الفتنة لأحميدة عياشي أنموذجا، مذكرة ماستر، جامعة جيجل، 2018/2017م .

21_ جمال بوسلهام: الحداثة وآليات التجديد والتجريب في الخطاب الجزائري، حارسة الظلال لواسيني الأعرج أنموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2009/2008م.

22_ غنية بوحرة: المثقف والصراع الإيديولوجي في رواية الأزمة الجزائرية متاهات ليل الفتنة لأحميدة عياشي أنموذجا ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011/ 2012م .

23_ مليكة ضاوي، تجليات الأزمة في الرواية الجزائرية (1995م_2005م) دراسة موضوعاتية، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه ، 2015/2014م، جامعة الحاج لخضر باتنة.

الملتقيات :

24_ الحاج بن سراي، جدلية الوطن والمنفى في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي، أعمال الملتقى الثاني للأدب الجزائري.

25_ عبد اللطيف حني: الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة، أعمال الملتقى الثاني في الأدب الجزائري.

26_ محمد الصالح خرفي: الدين والإيديولوجي في الرواية الجزائرية المعاصرة، الأدبي والإيديولوجي في رواية التسعينات، ملتقى سعيدة الخامس ، 2008م.

الفهرس

فهرس الموضوعات :

الموضوع.....	الصفحة
مقدمة.....	أ_ ج
الفصل الأول مواكبة رواية الأزمة للتطورات السياسية والاجتماعية.....	24_5
تمهيد.....	5
1_نشأة الرواية الجزائرية.....	11_6
1_1_الرواية الجزائرية في فترة السبعينات.....	7_6
1_2_الرواية الجزائرية في فترة الثمانينات.....	8_7
1_3_الرواية الجزائرية في فترة العشرية السوداء.....	11_8
2_أثر الأزمة في الرواية الجزائرية.....	23_11
2_1_الرواية الاستعجالية.....	14_11
2_2_الرواية المتأنية.....	18_14
3_ تيمات رواية الأزمة	18
3_1_تيمة العنف.....	18
3_2_تيمة المثقف.....	19_18
3_3_تيمة الإرهاب.....	20_19
3_4_تيمة الغربة.....	20
3_5_تيمة الموت.....	20
3_6_تيمة الحب.....	21
4_تجليات الإيديولوجيا في رواية الأزمة.....	24_21
خلاصة.....	24
الفصل الثاني الحب والحرب خلال الأزمة.....	38_26
تمهيد.....	26
1_مظاهر الحب والحرب خلال مرحلة الأزمة.....	32_27
2_ عوائق الحب.....	35_33
تعارض الحب مع الواجب والصراع الداخلي.....	38_36
خلاصة.....	38

الفصل الثالث الهويات المفقودة والمعذبة..... 67_50
تمهيد..... 40
1_ البحث عن الهوية المفقودة..... 46_41
2_ صراع الهويات..... 54_47
خلاصة..... 54
خاتمة..... 57_56
قائمة المصادر والمراجع..... 61_59
الفهرس..... 64_63

الملخص:

استطاعت رواية الأزمة التأريخ لفترة حرجة من تاريخ الجزائر اتصفت بالغليان والتوتر والعنف، تمكنت الرواية من الولوج إلى أماكن الألم الذي عايشه الشعب الجزائري، راسمة بذلك تجربة أدبية جديدة متصلة بالأحداث السياسية والاجتماعية في فترة عرفت بالعشرية السوداء، لتنزع اللثام عن صورة الواقع السياسي والاجتماعي المعاش.

رواية حطب سراييفو شهادة حية عن واقع مضطرب خلال العشرية السوداء عايشه الشعب الجزائري بكل تمخضاته واضطراباته وآلامه، تمكن الروائي من تجسيد جانبا مهما من العشرية السوداء، وربط مصير الشعب الجزائري بمصير أزمة دولية مشابهة عرفت بأزمة البلقان، حيث تمكن من رصد الواقع ومعالجته بطريقة فنية رائعة، فعبر عن هموم وطنية، قومية وإنسانية برؤية تقدمية، وتمكن من طرح الكثير من الأفكار التي ظهرت خلال العشرية السوداء.

الكلمات المفتاحية:

الأزمة ، الحرب، الحب، الهوية المفقودة، الهوية المعذبة.